د. أحمد خالد توفيق

قصة تكملها أنت

راحل إلى هناك



في أوائل السبعينات من القرن الماضي، قدم التلفزيون المصري عملاً دراميًا فائق الإمتاع اسمه (قصة وعشرة مؤلفين). في البدء كان على عميد القصصيين (نجيب محفوظ) أن يصمم حبكة ما.. هكذا قدّم قصة عن المُدرس الخائف (عماد حمدي) الذي قرر أن يتهور مرة واحدة في العمر لدى سفر زوجته والأولاد.. موضوع التهور -طبعًا- هو الراقصة (نادية الجندي) التي يصحبها إلى بيته الخالي ويقضي معها ليلة حمراء، وفي الصباح يحاول أن يوقظها ليكتشف أنها ماتت!

إلى هنا ترك الأستاذ القصة لتسعة من أهم الروائيين المصريين على أن يعود لكتابة النهاية.. لا أذكر الأسماء كلها ولا الترتيب؛ لكن كل واحد كان يكتب حلقة تنتهي بمأزق يتركه خصيصًا لمن يأتي بعده، وكان يُقدّم الحلقة ويشرح وجهة نظره للمشاهدين قبل بدء الدراما.. تشعبت القصة وجمحت وصارت هناك عصاباتُ تهريبٍ وجواسيسُ أجانب، واتضح أن الراقصة لم تمت.. الخ.. ثم وقعت القصة في يد (يوسف السباعي) أو (يوسف إدريس) الذي أعلن صراحة أنه لم يحب ما بلغته القصة من (علق)، لذا قرر أن يعيد السفن إلى

مراسيها!.. في نهاية الحلقة يكتشف المدرس أنه كان يحلم وأن هذا كله كان كابوسًا طويلاً.. في نشوة الخلاص يوقظ الراقصة النائمة في سلام جواره فيكتشف أنها ماتت فعلاً!.. هكذا عادت الحلقة لـ(نجيب محفوظ) المكلّف بكتابة الحلقة الأخيرة.. لم يُخفِ (نجيب محفوظ) ذهوله لأن القصة عادت له كما تركها، والمأزق الذي تركه لغيره عاد له شخصيًا!..

الخلاصة أن هذا المسلسل كان تجربة روائية متوسطة أدبيًا، لكنها فائقة الإمتاع من ناحية دراسة طريقة تفكير كل أديب.. لعبة ممتعة نرى فيها كيف يتملص كلٌّ منهم من المأزق الذي تركه سلفه، وكيف يترك مأزقًا لخلفه.. وطبعًا لا داعي لقول إن أحدًا لا يعرف أين ذهب هذا العمل ولا مصيره.. على الأرجح سيطل علينا من إحدى الفضائيات يومًا ما، ضمن تراث التلفزيون المصري الذي يبع قطعة قطعة على شكل أقراص مدمجة يتم تهريبها تباعًا من ماسبيرو..

ظلتْ الفكرة محفورة في عقلي الباطن زمنًا طويلاً، وقد قابلت مثيلاتها في الأدب الغربي لكني لم أرها في الأدب العربي حتى هذه اللحظة.. حتى في العاي كنت أجلس وصديقي العتيد د.(أيمن الجندي) نتسلى بأن

يكتب كلٌّ منا فقرة جديدة في قصة واحدة.. جربتُ محاولة مع د.(محمد سليمان) لم تُستكمل لأسباب يطول شرحها.. هناك قصة شبيهة وضعتها على موقع المؤسسة تقوم على أن يستكمل القراء القصة، وتُرسم بطريقة (الستريبس) حلقة حلقة بريشة الفنان (باسم صلاح)، لكن الموقع متوقف منذ فترة..

ثم بدأتُ تقديم هذه الفكرة في موقع (روايتي)، وقد لاقت إقبالاً لا بأس به.. تدريجيًا وُلدتْ القصة وصار لها رأسٌ وذيلٌ، وأعتقد أنها مسلية فعلاً، لكني أعتقد أنه لا غنى عن الكتاب المطبوع لأن ما يوجد على شبكة الإنترنت كثير جدًا وسريع البخر وقراءته عسيرة، وهذا ما دفعني إلى التمسك بأن تُطبع هذه المحاولة المثيرة.. ومن حسن الحظ أن (دار ليلى) رحبت بالفكرة..

هناك نقطتا ضعف حتميتان في هذا النوع من القصص: النقطة الأولى هي أن بعض القراء قد يمتلك موهبة ذات لون مختلف، وقد تكون لهم أساليب مختلفة، وقد لا يهتمون بالرعب أصلاً، لكنهم مضطرون للتقيّد بفكرتي وأسلوبي لأنني أنا الذي بدأ القصة.. هذا يُرغمهم على حد أدنى من التجانس والتقيّد بتعبيراتي وطباع أبطالي وإيقاع كلماتي.. أعني أن موهبتهم قد تكون أكبر

من هذا وأعرض وأكثر جموحًا، لكن التجربة ترغمهم على أن يضعوا هذه الموهبة في وعاء ضيق اخترته أنا..

نقطة الضعف الثانية عرفتها متأخرًا، بصفتي أجهل كل شيء عن لعبة كرة القدم باستثناء أن (الخطيب) هو نجم فريق المقاولين العرب: رأيتُ مباراة بين منتخب العالم وبطل كأس العالم -أعتقد أنه كان إيطاليا وقتها- فتوقعتُ أن يسحق منتخبُ العالم بطلَ الكأس.. تصور أن يجتمع أفضل اللاعبين في كل مركز ليصنعوا فريقًا واحدًا.. قال لي خبراء اللعبة وهم يبتسمون بشفقة إن العكس هو الصحيح..

-"والسبب؟"

قالوا وهم يبتسمون بحنكة هذه المرة:

- "السبب هو التجانس.. فريق إيطاليا متجانس يفهم لاعبوه بعضهم البعض، ويتحركون كوحدة واحدة، بينما منتخب العالم فريق مرقع من عدة مهارات يستحيل أن تتناغم.."

وقد كانوا على حق وكنت أحمق كالعادة..

التجانس عنصرٌ مهمٌ جدًا لجودة العمل.. لا أعتقد أنك ستحصل على تحفة فنية لو أنك جعلت (نجيب

محفوظ) و(ديكنز) و(تولستوي) و(دستويفسكي) و(زولا) و(هيمنجواي) يجتمعون على رواية واحدة. كل واحد منهم له عالمه يصول ويجول فيه كما يشتهي، وخير ما تفعله هو أن تتركه يكتب رواية كاملة وحده.. هذا عسير التصور لكنها الحقيقة.. إن القصة متعددة الكتاب تعطيك تجربة ممتعة وجديدة بالاهتمام لكنها ليست الأفضل.. (قدمتُ هذه الفكرة فعلاً في قصة ستريبس بريشة الفنان فواز نشرت في ملحق صبيان وبنات الصادر عن أخبار اليوم).

هذان عيبان لا مفر منهما إذا أردنا أن نقدم اللعبة كاملة كما هي.. ممتعة كما هي..

أنتظر أعمالاً أكبر وأفضل من الأصدقاء الفائزين ومن سواهم.. لقد عرفناهم في هذه المرة يستكملون فكرة ليست لهم، فماذا يكتبون إذا نالوا حريتهم كاملة؟

د. أحمد خالد

قصة تكملها أنت

د. أحمد خالد توفيق

قلاشندي

تامر الباجوري

مديحة محمد

ريهام إبراهيم

لم أستطع قط أن أحب (هيام) كما ينبغي لي أن أفعل..

يقولون إنها رائعة الجمال، لكني لا أرى هذا، وهذا من الأسباب التي تجعلني أتساءل: هل لعيونهم تركيبٌ غير تركيبِ عينيّ؟.. هل المرئيات نسبية فعلاً كما قال كُتاب الخيالِ العلمي؟

يقولون إنها لطيفة المعشر، وأنا لم أرَ ذلك قط.. ثمة لحظات تصدر منها نظرة غادرة هنا أو هناك.. نظرة من الطراز الذي يصفونه بالعامية بأن (الشرر يطق من عينها) ثم تتذكر أين هي ومَن هي، من ثم تعود إلى القناع الاجتماعي والتظاهر بالرقة.. ترتدي بسمتها المشرقة حتى أنني إذا رأيتها شعرتُ بأن فكي يتقلص ألمًا..

يقولون إنها ذكية.. ربما كان هذا صحيحًا، لكن مَن قال إن الذئب ليس ذكيًا؟.. أنا أعتبر هذا نوعًا من الغريزة اليقظة لا الذكاء..

لم أستطع قط أن أحب (هيام) ولم يكن مطلوبًا مني أن أفعل.. لكن عملي في شركة الكمبيوتر تلك اضطرني اضطرارًا إلى التعامل معها سبعَ ساعات يوميًا..

نحن نمارس عملاً هو نوعٌ من تصميم الجرافيكس.. هل تعرف تلك اللقطات الكريهة التي تفصل بين برنامج وآخر؟.. هذا هو عملنا بالضبط.. ونبيع هذه الأشياء لشبكات التلفزيون..

هذا العمل جماعيّ يتكاتف عليه نحو عشرين، لكني و(هيام) نجلس متلاصقين ونقوم بذات الأشياء تقريبًا..

هكذا تجد أن حياتك كلها تتوقف على التعامل مع (هيام) و(هيام) لا تُطاق.. لكني أحمد الله على أن هذه مهنتي وأسوأ ما أتعرض إليه..

هناك أشخاصٌ عملهم الغطسُ في المجاري وأشخاصٌ عملهم ربط فكيْ الميت بالشاش، دعك من الذي يتلخص عمله في التخلص من جثث الكلاب الميتة.. من التزيد أن أزعم أنني أسوأ حالاً من هؤلاء..

* * *

بدأتْ القصة في يوم ثلاثاء..

كانت (هيام) قد طلبت الإذن للانصراف، فوافق مديرنا الشاب (عصام).. إنه من الطراز الذي يلبس قميصًا قصيرَ الكمين مع ربطة عنق، ويعلق سماعة الهاتف

الجوالِ في أذنه، ويعلق في حزامه أجهزة لا حصر لها مثل (البيجر) وعدادَ الخطوات وعدادَ السعرات، وكل هذا الهراء الذي يوحي بأنه مهمّ ناجح.. كلُ عيناتِ هذا النمط يقلّدون المديرين التنفيذيين أو سماسرة (وول ستريت).. إنه ادعاءٌ غير أصيل لكنه يرضيه شخصيًا.. طبعًا لابد لأحمق من هذا الطراز أن يفتتن بـ (هيام) ويعتبرها (فينوس) شخصيًا وقد قبلتْ أن تعمل تحت إشرافه..

ــ "هل يمكنني أن..؟ "

ــ "طبعًا.. طبعًا يا عزيزتي.. خذي راحتك.."

(هيام) تقيم في الهرم أي أنها تحتاج إلى نصف ساعة لتصل لبيّتها.. على الأرجح لن تعود اليوم.. لكن المدير يغفر كلَ شيء..

قلت له إنني أشعرُ بصداعٍ وأرغبُ في..

ــ "جاتك ستين نيلة"

قالها وانصرف.. لابد أن ما قاله يعني الرفض..

عدت ألح عليه فقال في إصرار:

ــ "(ممدوح).. لا تجعلني أفقد أعصابي من فضلك"

هكذا جلستُ أداعب مفاتيح الجهاز شاعرًا بالإحباط والتعصب الذي يلقاه جنسُ الرجال في هذا المجتمع المتخلف، ثم نهضتُ إلى الحاسب الخاص بـ (هيام).. كانت هناك نقطة أريد التأكد منها.. هل أتمّتْ مسحَ الرسومِ الأخيرةِ التي..؟

غريبٌ.. لقد وضعتْ كلمةَ سر تحمي محتويات الجهاز.. لم أعتد منها هذا التصرف من قبل..

كنت وحدي في الغرفة.. الباقون يتناولون الغداء أو في الحمام.. هناك لحظاتٌ معينة يجد فيها المرء أن الفضول يفوق حدوده الأخلاقية.. لمَ لا ألقي نظرة على ذاكرة كمبيوتر الفتاة التي أكرهها؟

يدللونها باسم (هيمي).. قطتها البشعة اسمها (روني).. أختها الصغرى تدعى (ريهام)..

هكذا جربت.. وجربت.. وجربت..

لا شيء..

واضح أنها أذكى مما توقعت..

نظرت تحت زجاج المكتب بحثًا عن شيء يقود

تفكيري، فرأيت قصاصة صغيرة كتب عليها:

(**Beelzebub**)

لا أعرف معنى هذه الكلمة لكني سأجربها.. كتبت الحروف فانفتح الجهاز..

كان أول ما قمتُ به هو أن فتحت القاموس وبحثت عن معنى الكلمة.. ارتجفت لما عرفتُ أنها تعني (بعلزبول).. كبير الشياطين والعياذ بالله.. ذوق هذه الفتاة رديءٌ فعلاً..

رحت أستعرض الملفات.. ثم خطر لي أن أرى الصُّور التي تحتفظ بها.. ما هو ذوق هذه الفتاة الكريهة في الممثلين والمطربين؟.. هل هي من الطراز الذي يعشق (كاظم الساهر) أم (محمد منير) أم (شعبان عبد الرحيم)؟..

لكني لم أرَ صور مطربين..

كانت هناك صورٌ لها ترتدي ثوبًا أحمر طويلاً.. وقد انتثر شعرها على كتفيها.. أعترف أنها بدت جميلة بهذا الشكل.. الغريب أن الثوب كان يكشف أكثر مما يخفي ولم يكن هذا طابع ثيابها الأقرب إلى الاحتشام.

كانت تقف في مكان غريب أقرب لأجواء السينما.. هناك نارٌ مشتعلة وتمثالٌ عملاقٌ تشتعل النار في فمه..

إذن هي تمثل.. تمثل وتخفي ذلك عنا.. هذا واضح تمامًا.. أعتقد أن هذه كواليس مسرحية ما.. وهي تلعب دورَ كاهنةٍ وثنية..

كانت تقف جوارَ مذبحٍ عليه جثة ممزقة غارقة بالدم -الصلصة طبعًا- وترقص..

قمت بتكبير الصورة لأرى الجثة الراقدة.. هذا الممثل الملوث بالدم.. هذه الملامح مألوفة لي.. لكن..

هذا أنا!.. نفس الوجه يتكرر في ثلاث أو أربع صور..

لا أعرف كيف لكنها تحتفظ بصور لي وأنا أرقد على مذبح ملوثًا بالدم، كأني قربانٌ في طقسٍ وثني ما..

أنا خبيرٌ في التصميم الجرافيكي ولن يخدعني أحد..

هذه الصُّور أصلية ولم يتم تلفيقها!..

لكن كيف؟

* * *

ما معنى هذا؟.. ما تفسير هذه الصور؟.. دعك م
تفعله هي بنفسها في الصورة، السؤال هو ماذا أفعل أ
في هذه الصور؟، وما الذي ذهب بي إلى هناك؟، وما هو
هذا الـ"هناك" أصلاً؟.

إن المكان الذي أراه في الصورة لا يَمُتّ إلى
حاضرنا وعصرنا بصلة.. هذا إن لم يكن ديكورًا بالطبع..
ولكنه إن كان ديكورًا فهو متقنٌ بالفعل ومُصممه
لعبقري حقـًا..

يا إلهي ما تفسير ما أراه بأم عينيّ الآن؟.. ما معنى
هذا كله؟ يبدو أنه ليس لدي الوقت للتفكير الآن،
سوف يعود باقي الزملاء في أي لحظة، فلأنسخ هذه
الصُور عندي وأفحصها على مهل على الكمبيوتر الخاص
بي في المنزل.. من يعلم؟.. ربما تكون صورًا مركبة
بمستوى احترافي كبير أعلى مما أتصور.. ربما هناك شخصٌ
آخر قام بتصميمها غير"هيام".. ربما.. ربما.. هناك الكثيرُ
من الاحتمالات المنطقية التي يجب التفكير فيها قبل أن
آخذ في الاعتبار أية فكرة مجنونة!!..

* * *

في المنزل قمتُ بفحص الصُور جيدًا على جهاز
الكمبيوتر وباستخدام أحدث البرامج المتخصصة.. ولكن
لا فائدة.. لا أستطيع إقناع نفسي أن هذه صورٌ مركبة..
فمهما بلغتْ درجة احتراف أحد المصممين فلن يستطيع
أن يجعل الصورة تبدو طبيعية إلى هذه الدرجة.. فما معنى
هذا؟.. ولماذا أنا بالذات؟..

بحكم عملي ومجالي كمصممِ جرافيك أشاهد الكثيرَ
من أفلامِ الخيالِ العلمي وأفلامِ الرعبِ بالطبع، أفعل هذا
لأدهِش نفسي بمستوى الجرافيك المستخدم في تلك
الأفلام، ولأثبت لنفسي للمرة الألف أني سأموت دون أن
أشارك في عمل بمثل هذا المستوى، ولأزداد يقينا على
يقين بأننا متأخرون في كل شيء.. وبحكم خبرتي هذه فقد
شاهدتُ الكثيرَ من أفلامِ الرعبِ التي تتحدث عن السحر
الأسود والطقوس الوثنية.. إن ما أراه في تلك الأفلام
يشبه إلى حد كبيرٍ ما أراه في الصُور.. ولكن هل يجعل
هذا الأمرَ أقربَ إلى الحقيقة أم إلى الخيال؟.. الشيء
الوحيد الذي متأكد منه؛ هو أنني لم أذهب في يوم من
الأيام مع هذه الفتاة لأمثـّل مسرحية سخيفة أقوم فيها
بدور جثة ممزقة!!..

أتراه حلمًا ما؟.. ولكن إن كان كذلك فمن أين

جاءت الصور؟؟.. مَن شاهد فيلم الجرافيك الرهيب (Final Fantasy) الجزء الثاني والذي تدور أحداثه في الفضاء، يعلم أن في ذلك العصر من المستقبل كان لديهم ذلك الجهاز القادر على تسجيل الأحلام في صورة مرئية يمكن استرجاعها بعد ذلك.. ولكن هذا في أفلام الخيال العلمي، أما نحن ففي الواقع الآن.. ترى هل تستطيع تسجيل أحلامها بنوعٍ من أنواع السحر؟.. إن كثيرًا مما اعتبره الناسُ سحرًا قد حوّله العلمُ إلى حقيقة.. إليك مثلا تلك البلورة المسحورة الشهيرة، التي من خلالها تستطيع تلك الساحرة الشمطاء أو ذلك الساحر العجوز جدًا -وهو دائما كذلك- أن يرى حدثـًا ما يحدث في مكان ما في نفس الوقت؛ اعتبَروا هذا سحرًا.. إن ما يفعله التلفزيون -التلفاز حتى لا يغضب مجمع اللغة- يفوق مرارًا هذه البلورة.. فمن خلاله تستطيع مشاهدة أيِّ حدث في أي مكان، بل وتسجيله أيضًا لمشاهدته في وقتٍ لاحق وبصورة أوضح من البلورة بالطبع.. وإني لأتساءل هل هناك بلورة 14 بوصة وأخرى 24 بوصة؟.. لقد كفَّ الناسُ عن الاندهاش بالبلورة كأداة سحرية، ولكنهم يقبلونها فقط كإحدى مستلزمات الديكور في الأفلام.. إنها التقاليد على كل حال.. لا يوجد ساحرٌ يحترمُ نفسه لا يملك بلورة

سحرية.. ما هذا؟.. عن ماذا أتحدث؟ لقد أصاب عقلي الخرف قبل التعب حتى أني أفكرُ في أشياءٍ ليس لها علاقة بما أنا فيه.. فلأخلد إلى النوم الآن لعلي أصل إلى شيءٍ غدًا..

* * *

في اليوم التالي ذهبتُ إلى العمل.. فوجدتُ (هيام) قد سبقتني إلى هناك.. لا اعلم لماذا أصابتني رجفة خفيفة بمجرد أن رأيتها.. مع أني أراها كل يوم ولم يكن هناك شيء.. تحاشيت النظر إليها ونظرت إلى الأرض ثم اتجهت إلى مكتبي.. ولكن نظرًا لأنني كنت أنظر إلى الأرض.. فقد اصطدمت بالعمود الذي يتوسط الغرفة..

مهلاً.. لم يكن هناك أيُّ عمودٍ يتوسط الغرفة!!..

آه.. إنه الباشمهندس "عصام" هل تذكره؟.. رأيته يقف في ثبات ناصبًا قامته وينظر لي نظرة من طراز (لماذا – تأخرت – إلى – الآن) فنظرت له نظرة من طراز (كنت – مستيقظا – حتى – وقت متأخر – أفكر – في – أمر – أرهقني – أنت – تعرف – هذه – الأمور).. وكما لاحظت فقد كانت نظرتي إليه طويلة إلى حد ما.. ثم استطرد فقال:

– لماذا لا تحاول أن تكون مثل الآنسة "هيام"..

لقد أتت في ميعاد العمل تمامًا.. لا بل قبله بخمس دقائق إن لم يكن أكثر.

من الواضح أنه يحاول أن يجاملها ويجذب نظرها إليه على حسابي أنا.. فلو أن"هيام" وضعت أحدَ أصابعها في أنفها لأعجبه ذلك ووجد فيه من المزايا ما لا يعد ولا يحصى، ولسوف يعيب عليّ أنا بعد ذلك بأني لا أضع أحدَ أصابعي في أنفي مثل"هيام"..

ثم قال:

- وقبل كل ذلك حاول أن تأتي إلى هنا متيقظـاً.. لا مثل الذي عنده داء السير أثناء النوم.

- لا وجود لمثل هذا الداء.. إنه من خيال صانعي الأفلام الكوميدية الرخيصة.

- هل هذا هو ردك على سبب تأخرك وضعف بصرك؟.

- أنا آسف.

- اذهب إلى مكتبك الآن.

هكذا ذهبت إلى جهاز الكمبيوتر الخاص بي.. هل تنظر"هيام" إليّ أم أنني أتخيل؟.. هل تضيّق عينيها في خبث

أم أنه نفسُ التخيّل؟.. لو كان هذا وهمًا فأنا في حالة متأخرة جدًا.. رباه.. إن نظراتها قوية حادة إلى درجة لا تصدق.. إنها المرة الأولى التي أرى فيها نظرة لها وجود مادي بهذا الشكل.. إنها نظرة ثلاثية الأبعاد.. يمكنني أن أشعر بنظراتها دون أن أنظر إليها.. كأنها إبرٌ صغيرة تخترق مسامَ جلدي.. لذلك حاولت أن أتظاهر بأني لا ألاحظ؛ وكان معنى هذا أن زادت نظراتيّ إلى السقف وإلى الحائط المجاور بشكل يجعل السقف والحائط يتساءلان.. ماذا أصاب هذا الرجل؟!!

لماذا تنظر إليّ هكذا؟.. هل علمتْ أنني اخترقتُ جهازَ الكمبيوتر الخاص بها ورأيتُ ما تخفيه؟.. لا أظن هذا.. لا يبدو أنها تملك هذه الكفاءة.. إن شخصًا يضع كلمة السر الخاصة بجهازه تحت زجاج المكتب هو شخصٌ لا يعلم شيئًا عن نظم الحماية على الإطلاق.. إنه العميل الأمثل لأنظمة مايكروسوفت التي تفتقد الحماية أصلاً!!..

ولكن مهلاً.. هل يا ترى هي تعمّدت هذا؟.. هل تركت هذه الورقة متعمدة ثم تعللت بأي سبب لكي تغادر وتتركني وحدي مع الكمبيوتر الخاص بها حتى أفعل ما فعلت؟.. رباه.. هل يمكن أن يكون هذا صحيحًا..

و أثناء تفكيري في هذه الأمور وجدتها تقوم من

على مكتبها وتتجه بخطوات ثابتة نحو أحد المكاتب.. إنه مكتبي للأسف.. إنها قادمة نحوي وتنظر إليَّ في ثبات عجيب.. هل ستتحول الآن إلى مسخٍ ثم تلقي بي إلى النافذة؟.. أو إلى أمعائها فهذا أقرب؟!..

– باشمهندس "ممدوح" ممكن دقيقتين من وقتك لو سمحت.

قالتها في دلال واضح.. لكني أتوقع ما هو أسوأ..

– إتـ.. إتـ.. اتفضلي.

– بصراحة أنا كنت عاوزة أكلمك في موضوع، لكن المكان هنا مش مناسب.. ممكن نتقابل النهاردة.. الساعة **06:30** في كافيتريا "النجوم".. لو كان ده يناسبك يعني..

– حسنًا، سأكون هناك.

ابتسمتْ لي ثم انصرفتْ إلى مكتبها..

ربما تتعجب أنت وتسألني لماذا وافقت بهذه السرعة؟.. لم أوافق.. ولكن هذا هو الرد الوحيد الذي سيجعلها تنصرف عني.. وقد كنت أجلس على أعصابي وهي بجواري ولا أفكر إلا في أن أجعلها تنصرف عني وقد نجحتُ.. أو هذا ما كنت أظنه!!..

ماذا عن الموعد؟.. بالطبع لن أذهب وسأتعلل بأي شيء.. غالبًا سأبدأ في البحث عن عملٍ في مكانٍ آخر..

تسألني ولماذا لا أذهب؟.. لأني لست غبيًا.. هكذا هي البداية دائمًا.. يدفعك الفضول لأن تعرف فتكون بذلك قد كتبت أولَ سطورِ نهايتك.. قلت لك إن لي خبرة كبيرة في مشاهدة أفلام الرعب.. هل قال لك أحدهم إنني أحد أبطال تلك القصص وهذه الأفلام؟.. أولئك الأبطال الأغبياء الذين يرفضون أن يقتلهم الفضول؛ فيسيرون إلى آخر الطريق حتى تقتلهم المسوخ.. إن كنت قد ظننت هذا؛ فأنت مخطئ ولا ريب.. أنا لست مثل هؤلاء السفهاء الذين يقومون بمفردهم بالنزول إلى القبو المظلم بحثًا عن مصدر الصوت الغريب.. ولا يختارون وقتًا يفعلون فيه هذا إلا ليلاً!!..

أما أنا فأعرف كيف أنقذ نفسي من البداية وكيف أتحكم في فضولي.. لن أذهب لأعرف قصة الصُّور غير المنطقية.. لن أذهب أنا أعرف هذا ومتيقن منه.. لست سفيهًا.. لن أذهب.. لن أذهب.. لن أذهب.. لن أذهب..

* * *

وذهبت!!..

* * *

لم أتأنق ولم استخدم زجاجة العطر التي أهداني (ثروت) إياها عندما كان في باريس؛ الفتاة لا تستحق هذا.. أنا أمقتها، ولو شئنا الدقة لقلت إنني صرت أخشاها.. لماذا يتضمخ المرء بالعطر وهو ذاهب للقاء سحلية؟

انتقيت أسوأ (بول أوفر) عندي وتعمدت ألا أمشط شعري، كما حرصت على ألا أحمل الكثير من المال.. سوف تدفعين حسابك أيتها الحسناء كأي شخص يحترم نفسه..

أولاً أنا متأكد من أنها لا تحمل نحوي أي ميل. ثانيًا أعرف يقينًا أنها سوف تحاول أن تقنعني بأنها تحمل نحوي كل ميل. والسبب؟.. لا أعرف..

هكذا دخلتُ (الكافتيريا) التي حدَّدتها لي في السادسة مساء.. أردت أن أكون هناك قبلها بوقت لا بأس به.. (الكافتيريا) ذات طابع راق مريح وقد اعتدنا أن نعرج عليها لنتناول الغداء لو كنا نملك مالاً نريد التضحية به، وإلا فهي شطائر الطعمية من مطعم قريب..

لا.. لم نعتد اصطحاب فتيات هناك لأن المكان مطروق.. سوف تدخل مع الفتاة لتجد أنك تحملق في العينين الشريرتين الوقحتين لأحد زملائك أبادهم الله.. هذا أسوأ مكان يمكن أن تصطحب له حبيبتك أو فتاة تزعم لها أنها كذلك..

طلبتُ عصيرَ ليمون، ورحت أتأمل المناضد التي تحمل طابعَ خشبِ (الأرز) الجميلِ الدافئ.. السادسة والربع.. لن تلبث أن تظهر وكلي فضول كي أعرف ما في جعبتها..

هذه الفتاة قصيرة الشعر الجالسة وحدها على المنضدة المجاورة ترمقني بإصرار.. جميلة رقيقة، سوف أكون محظوظًا لو كانت ترمقني لأنني رائع لكن لا أعتقد هذا.. أنا في أقبح وأتعس حالاتي ولا يمكن أن أروق لأنني (ظربان).. إذن هي ترمقني لهذا السبب.. لأني في أقبح وأتعس حالاتي..

فجأة نهضتْ متجهة إلى المنضدة التي أجلس عليها وقالتْ في سرعة:

ـ "اسمي (شذى).."

ابتسمت لها بمعنى أن ما تقوله بالغ الأهمية، فقالت

في ذات السرعة:

ـ "لا وقت للتعارف.. إن (هيام) قادمة حالاً.."

نظرت لها في ذهول.. إذن هي تعرف كل شيء..

ـ "نصيحتي ألا تثق بـ (هيام).. سوف تقول لك كلامًا كثيرًا لكن لا تصدقْ حرفًا.. مهما عرفتَ (هيام) فلن تبلغ مبلغ علمي.."

كنت أعرف هذه الطريقة لدى الفتيات.. فلانة تكره فلانة لأنها لم تتوقع أن تكون بهذا الشر وتصدق ما تقوله عنها فلانة الثالثة..

قالت وقد خمنتْ ما أفكر فيه:

ـ "الأمر ليس خلافًا بين فتيات.. الأمر جد خطير ويتعلق بحياتك.."

سألتها في حذر:

ـ "هل.. هل تعرفين شيئًا عن صور معينة ملفقة بالكمبيوتر و...؟"

اتسعتْ عيناها رائعتا الجمال وقالت:

ـ "ليست ملفقة.. سلام!"

ثم غادرتْ المنضدة مسرعة، وفي اللحظة التالية كانت قد ألقتْ بورقة عملة على منضدتها السابقة وغادرت (الكافتيريا)..

يا للخسارة!.. كنت أتمنى لو ظلّت أكثر.. هذا هو طراز الفتيات الذي أتمنى لو منحتني فرصة.. تشبه ابنة خالتي نوعًا لكن ابنة خالتي كانت تكبرني بخمسة أعوام ولم تكف عن اعتباري طفلاً سخيفًا.. هي اليوم أمّ لثلاثة أطفال تراهم هم السخفاء..

هذه الفتاة تعرف الكثير.. أنا متأكد من هذا.. لكنها لم تضف شيئًا لمعلوماتي.. جاءت وأنا أشك في (هيام) ورحلتْ وأنا أشك في (هيام)، فما جدوى هذه المناورة؟

آه!.. مرحبًا بك!..

جاءت الأنوار إذن.. هي ذي الآنسة (هيام) تتبختر داخلة من باب (الكافتيريا).. أعتقد فعلاً أن هذه الفتاة جميلة لأن أكثر الشباب في (الكافتيريا) كفّوا عن الكلام ونظروا لها بعيون خرس.. حتى مَن كان مع حسناء تركها وراح يرمق (هيام).. هذه إذن تحفة لا تعنيني في شيء.. تخيل طبقًا شهيًا من حساء سمك الحفش

يقدم في مطعم روسي.. الكل يسيل لعابه بينما أنت لا تبالي بسمك الحفش ولم تذقه في حياتك ولا يهمك أن تذوقه..

سعيد الحظ الذي اتجهت نحوه هو أنا.. الكل يرمقني في حسد وأنا أوشك على قول (على إيه يا حسرة؟)..

ضحكتْ ضحكتها المبرمجة وجلستْ سائلة:

ـــ"هل تأخرت عليك؟"

ـ"بل أنت دقيقة كالموت.. لم تتأخري ثانية واحدة.."

وقبل أن تعلق سألتها عما تريد شربه فطلبت قهوة.. هذا جعل شكلي مضحكًا إذ أشرب مشروبًا رقيعًا كالليمون بينما تشرب هي مشروبًا رجوليًا قويًا كالقهوة..

قلت لها في نفاد صبر:

ـ"سأكون شاكرًا لو أنهينا الموضوع سريعًا لأني فعلاً مرتبـ... أ.. سأمرض الليلة.."

أطلقتْ ضحكة رفيعة عابثة لم أسمعها من قبل

وقالت:

ـ"يبدو أنني أعض.. لم أعرف أنني مرعبة إلى هذا الحد من قبل.."

قلت بقلة ذوق:

ـ"(هيام).. أنت تعرفين أن ما بيننا علاقة عمل.. الأحمق هو من لا يسعى لتعميقها.. لكن من مصادفات القدر أنني أحمقٌ فعلاً.. لهذا أكون شاكرًا لو قلت ما تريدين.."

لم يتغير موقفها وقالت:

ـ"ما الثمن الذي تريده؟"

ـ"أي ثمن؟"

ـ"ثمن الصُور التي نسختها من جهاز الكمبيوتر الخاص بي.. الصُور الخاصة بي و(عصام)"

قلت في حيرة:

ـ"لم أر أية صورة لك مع (عصام).."

قالت في نفاد صبر:

ـ"كف عن السخف.. هذه الصُّور يمكن أن تدمر مستقبلي.. وأنا أعرف أنك نسختها.. فلماذا فعلت؟.. أعتقد أن الابتزاز هو الكلمة الصحيحة"

تنهدت وقد قررت أن أضحي بمعلومة لأكسب أخرى:

ـ"نعم أنا تسللت إلى جهازك.. أعترف بهذا.. مجرد حسن نية.."

ـ"أعرف هذا.. هناك من قال لي إنك فتحت جهازي خلسة.. قالوا لي إنك نسخت شيئًا على قرص مرن.. بحثت في الملفات المستعملة أخيرًا فوجدت هذه الصور.. من يكون قد فتحها سواك؟"

إذن للجدران عيون في هذه الشركة اللعينة.. كان علي أن أتوقع هذا.. وأنا الذي حسبت أنني وحدي..

قلت في إصرار:

ـ"لم تكن هناك صورة واحدة لـ (عصام).. هناك صور لك في.. لنقل إنها بروفة لمسرحية ما.. أنت كاهنة وثنية تقومين بطقوس بينما أنا جثة ممزقة بين يديك.."

نظرت لي غير مصدقة..

وفجأة كان ردها فعلها من أغرب ما توقعت.

لقد بدأت تبكي كأنها صنبورٌ تالف.. تبكي.. تبكي وتلطم الخدين.. اخرسي يا حمقاء.. لا تحطمي أعصابي.. الكل ينظر لنا..

سمعتها تقول من بين عبراتها:

ـ"لقد خاننا!.. أنا موصومة!"

ثم نهضتْ وبكل ثبات أمسكتْ بقدح القهوة فطوحته في وجهي وعلى ثيابي ثم غادرت المكان!..

لك أن تتصور شعوري وذهولي!

* * *

عدتُ إلى البيت وفتحتُ جهاز الكمبيوتر لأرى تلك الصُّور من جديد..

هذه المرة تدلى فكي الأسفل في ذهول حتى غطى مفاتيح الجهاز..

كانت الصُّور تظهر (هيام) مع (عصام) في نزهة خلوية، وكان من الواضح أن علاقتهما حميمة جدًا.. أكثر من اللازم لو شئت رأيي..

متى وكيف تبدّلت هذه الصُّور؟..

هل أنا موشكٌ على الجنون؟

* * *

ما هذا الخلط؟! الصُّور ليست ملفقة؛ بينما أنا حي أرزق.. لم "أمثل" مسرحية، ولا "مثّل" أحدهم بجثتي.. متى وكيف تبدلت الصُّور على جهازي الشخصي؟.. من أخبر (هيام) أني اطّلعت على محتويات قرصها الصلب؟.. ما دخل (عصام) في الموضوع؟.. ما معنى أن (هيام) قد صارت موصومة؟.. ومن هو الذي خافهم، ومن "هم"؟.. ثم من هي (شذى) أصلاً؟.. وكيف عرفتْ أني سأبكر عن الموعد بنصف الساعة؟.. وماذا لو كانت قد قابلتْ (هيام)؟.. قالت إن الموضوع يتعلق بحياتي، فهل هي صادقة؟.. لا أحد يملك إجابات سواها ولكن أين أجدها؟ هذا هو السؤال الذي ستقودني إجابته إلى إجابة باقي الأسئلة.. طبعت صورة وجدتها لـ (هيام) على النسخة التي لدي من ملفاتها..

في اليوم التالي بكرت إلى العمل قاصداً (وائل) السكرتير؛ لأحصل منه على عنوان (هيام). فلما سألني عن السبب مضيقـاً عينيه ليبدو خبيثاً، لمحتُ له في غموض "إنها مسألة نسب"! فانبسطتْ أساريره وأعطاني العنوان بأريحية بلهاء، ولم أنسَ أن أوصيه ألا يخبر أحداً

"لأن المسألة لا تزال في طور السؤال"، فوعدني أن يكتم الأمر.. لا أريد أن أبدأ في تلقي التهاني من الغد!

تركتُ العمل على وعد من (وائل) "بأن يغطي ظهري" بآية كذبة يراها مناسبة لدي (عصام)، وقدتُ سيارتي إلى الشارع الذي تسكن فيه (هيام)، وكان شارعًا صغيرًا هادئًا في منطقة متوسطة من مناطق حي الهرم، ذرعته جيئة وذهابًا بالسيارة كي أعلم من أين أبدأ، ثم صففت السيارة بعيدًا وعُدتُ مترجلاً إلى الشارع.. اخترت كوّاءً هرمًا تبدو عليه الطيبة لأسأله:

- "سلام عليكم يا حاج"
- "وعليكم السلام أي خدمة يا بني؟"
- "أريد أن أسأل عن آنسة ساكنة في هذا البيت".. وأشرت له تجاه المترل ذي الرقم الذي حصلت عليه من (وائل)..

قال في ريبة:

- "خير فيه حاجة؟"
- "آآ.. نسب.. مسألة نسب"

فانفرجت أساريره.

- "طيب ما تقول من الصبح!"

كأنني أعطله منذ يومين!، يبدو أن كلمة "[illegible]" هي كلمة السر!

- "هي اسمها (هيام).. مصممة جرافيكس"

قال في حيرة:

- "كرفس؟!"

- "أقصد مهندسة كمبيوتر يا حاج"

- "قلت لي اسمها إيه؟"

- "(هيام)"

قال متعجبا:

- "لا.. (هيام) في البيت دا.. من أين جئت بالعنوان؟"

سألني مشيرا إلى بيت آخر.

- "من صديق مشترك.. هل أنت متأكد يا حاج؟"

قال بعناد كأنما أهينت كرامته:

- "طبعا متأكد، دا أنا تلاتين سنة هنا! إلا متأكد"

- "طيب.. تعرف آنسة أخرى في الشارع بنفس الاسم؟"

- "مافيش بالاسم دا غير مدام (هيام).. في البيت دا".. وأشار إلى البيت ذاته.

- "تقصد آنسة (هيام)؟"

قال بإصرار:

- "مدام (هيام).. أرملة ولها بنت عمرها ست سنين"

- "هي دي يا حاج؟"

وقربت صورة الفتاة إلى عينيه.

أجاب بانتصار:

- "أيوة هي تمام!"

ثم تابع بمكر:

- "هم فهموك إنها آنسة ولا إيه؟"

قلت في شرود:

- "يمكن سوء تفاهم"

ثم خطر لي خاطر:

- "هل لها إخوة؟"

- "بنتين.. (ريهام) و..." دعك رأسه محاولاً التذكر، ثم استطرد فجأة:

- "(شذى)!"

اتسعت عيناي في انزعاج؛ لم تذكر (هيام) من قبل أيَ شيءٍ عن أختها (شذى) تلك.. لقد أخبرتنا عن (ريهام) من قبل.. بل وأرتنا صورهما مع قطتها البشعة (روني).. لم يكن هناك أيُ ذكرٍ لأيِ (شذى)، ولكن من تخفي حقيقة أنها أرملة ولها بنت في السادسة قادرة بالفعل على أن تخفي حقيقة وجود أختها تلك.

حصلت من الكوّاء على وصفٍ مطابقٍ لـ (شذى) التي قابلتني؛ فتوكلتُ على الله وصعدتُ إلى المنزل الذي أشار إليه.

يا الله! منزلٌ مقبضٌ حقـاً.. قابلتني قطة سوداء منتفشة الشعر في المدخل الرطب، وفحّتْ في وجهي

بتلك الطريقة المرعبة التي تجيدها القطط؛ فتعوذت في سري وصعدت إلى الطابق الذي وصفه لي الكوّاء.. دققت الجرس.. بعد دقيقة انفتح الباب عن الوجه الذي توقعتُ.. (شذى).. رفعتْ لي عينيها الجميلتين متسائلة:

- "مِن حضرتك؟"

قلت في ارتباك:

- "أنا (ممدوح).. لقد تقابلنا البارحة في الكافيتريا و.."

قطعتُ عبارتي عندما لمحتُ الإنكار في عينيها..

- "أنا؟.. أنا قابلتك؟" قالتها في عصبية "هذه أول مرة أراك فيها"

- "هل أنت (شذى)؟"

فقالت بنفس العصبية:

- "نعم.. ولا أعرفك ولم أزر (كافيتريا النجوم) تلك من قبل"

* * *

وصفقتْ الباب في عنف تاركة إياي ألملم أشلاء كرامتي المبعثرة.. ولكن مهلاً.. إنها لم تنكرني بالضبط.. لقد ذكرتْ اسم الكافيتريا الذي لم أذكره.. وربما كان عنفها المبالغ فيه رسالة لي كي أرحل عن المكان فوراً..

يبدو أنها تخشى الحديث هنا.

تركتُ المكان مسرعًا وقدتُ السيارة إلى (كافيتيريا النجوم) العتيدة.. طلبت شايًا واحتسيته على مهل حتى وجدتها تعبر الباب الزجاجي.. كما توقعت تمامًا ما دامتْ تخشى التحدث في البيت، وما دامتْ قد تعمدت ترك الرسالة لي في طي حديثها، فليس ثمة مكان آخر. أشرق وجهي لها وَكِدْتُ أقوم من مقعدي؛ لكني تجمدت عندما لاحظتُ أنها تجاوزتني وجلستْ في المائدة المجاورة.. لم يكن رواد الكافيتيريا في تلك الساعة الصباحية يتجاوزون أصابع اليد.. فلماذا إذن هذا الحذر الغريب؟ حافظتُ على اتجاه نظرتها بعيدًا عني.. مما أتاح لي تأملها من الجانب.. إنها رقيقة كالفراشة، ولا تشبه (هيام) إطلاقًا، مع أنها أختها كما زعم الكوّاء.. احتست مشروبًا ما ثم استدعتْ النادل ونقدته حسابه وصرفته، ثم عبثتْ قليلاً في حقيبة يدها، وذهبتْ مسرعة.. مددتُ بصري إلى المقعد الذي كانت تجلس عليه فوجدتُ ورقة مطوية فالتقطّها بخفة ودسستها في جيبي، وتركتُ ورقة نقدية على مائدتيّ وخرجتُ إلى الشارع.. بحثتُ عن (شذى) ببصري لكنها كانت قد اختفت.

وفي السيارة فتحت الورقة فوجدتُ فيها السطور

التالية مكتوبة بخطٍ جميلٍ متعجل:

"أستاذ (ممدوح) آسفة على الطريقة التي قابلتك بها.. الموضوع أعقد مما تتصور.. الرقابة عليّ لصيقة، لا أستطيع الإسهاب الآن؛ خوفًا من أن تعود "هي" للمنزل وتجدني خارجه.. لقد أثرْتَ كثيرًا من الرِّيَب في الآونة الأخيرة.. باختصار: خذ الحذر.. لا تتواجد وحيدًا خاصة ليلاً.. أنت مستهدف، ولا أدري لماذا أنت بالذات، لابد أن السبب شيءٌ فعلته أنت.. لا أستطيع التصريح بما هو أكثر.. لا تحاول الاتصال بي إلا إذا مرتْ أيامٌ ثلاثة ولم أتصل بك.. البريد الإلكتروني سيكون هو وسيلة الاتصال فتفقّدْ بريدك دائمًا..

(شذى)"

* * *



قال (حسن) وهو يقلّب الشاي:

ـ"ما زلت لا أصدق هذا الذي تقوله.."

قال د. (مصطفى) وهو يرشف القليلَ من قدحه:

ـ"ما دمت أؤكد لك أنها الحقيقة.."

قال (حسن) في استبشاعٍ واضح:

ـ"تقول إن هناك أناسًا مولعين بالموت والموتى.."

قال د. (مصطفى) في استمتاع:

ـ"نكروفيليا.. هذا الولع قد يبلغ درجة مريعة مثل ارتياد المقابر لمعاشرة الموتى، وأحيانًا يَقتل المصابُ بهذا الداء ضحاياه ليوفر لنفسه خامة للحب.. لكننا في حالة زوجتك نحمد الله على أن الأمر لم يبلغ هذه الدرجة.. إنها فقط تحب جو الموت والمقابر.."

نظر له (حسن) في رعبٍ وراح يسترجع الذكريات..

* * *

سوداوية جدًا يا (هالة).. لا ترين جنازة إلا

وتتابعينها بنهم، ولا تطالعين خبرًا عن وفاة أو حادث إ
ودققت فيه بعناية.. كان هذا محتملاً حتى وجدتُ أن
تقصين هذه الأخبار وتحفظينها في ألبوم خاص.. عند
تتابعين فيلمًا غربيًا فهذا فقط من أجل مشاهد العنـ
تشاهدين نشرات الأخبار طمعًا في لقطة أو اثنـ
تعرضان الجثث الممزقة هنا أو هناك، وهذا يعني أن حظـ
صار حسنًا في الأعوام الأخيرة..

سوداوية جدًا يا (هالة).. لكنك لم تكوني كذلك.

عندما زرنا عمتك في القرية وقضينا الليل، عرفت
أن المقابر قريبة جدًا.. لم أدرِ إلا الآن كم أثرت فيك هذه
الرؤى وكم أن تصرفاتك لم تعد كما كانت..

بعد ذلك العشاء الممتع من الفطير المشلتت والجبن
القديم وبعد احتساء الشاي، سمحوا لنا بأن نقضي ليلتنا
في (قاعة المسافرين).. وكنتُ مثقل الرأس أشعر أن
جمجمتي محشوة بالسمن، لهذا لم أنتظر كثيرًا حتى تبدلي
ثيابك وانقلبت على ظهري لأغيب في نعاس عميق

لا أعرف لِمَ شعرتُ بالظمأ لهذه الدرجة؛ حتى أني
صحوت من نومي بعد ساعة.. لم أجدك جواري.
الرعب.. نهضتُ بحثًا عنك، ثم فتحتُ باب القاعة

خرجتُ إلى الشرفةِ الواسعةِ التي تربض الحقولَ بقربها
وشواهدَ القبورِ الجاثمةِ في الظلام..

كانت كلابٌ تعوي في مكان ما.. ولعل ذئبًا أطلق
عواءه الطويل المرير. وقد خطر لي إنه ليس بوسع أنثى
ذات أعصاب سليمة أن تعبر هذه الحقول ليلاً.. أنا لا
أجرؤ وأنا الرجل متين البنيان..

لكنكِ فعلت هذا..

رأيتُكِ قادمة من بعيد تمشين في تؤدة كأنه لا يمكن
لشيء أن يُغير قلقــكِ أو رُعبَكِ.. فارعة الطول وشعرُكِ
ينسابُ على كتفيْكِ..

للحظة خطر لي أنك لستِ أنتِ.. ماذا عن النداهة
ونصف دستة من جنيات الفلاحين التي تبدو دومًا في
صورة أنثى جميلة تدعو الرجال؟.. القصة دائمًا هكذا..

لكنكِ كنت أنت..

حافية القدمين تلبسين قميصَ النومِ الهفهافَ
الطويل وتمشين نحو المكان الذي أقفُ فيه.. أجفلتُ قليلاً
عندما أدركتُ أنني أقف هناك في الظلام.. ثم ارتسمتْ
ابتسامة ما على شفتيك ودنوت مني..

قدماك ملوثتان بالوحل.. الثوب نفسه في حال مزرية..

ـــ"أين ذهبت يا هالة؟"

قلت في فتور:

ـــ"شعرتُ بأرق.. أردت أن أمشي في الحقول قليلاً.."

ثم اتجهتِ إلى طلمبة الماء في الحقل، فرحت تضخين الماء فوق قدميك.. بدا لي هذا سخيفًا لذا حملتُ خُفَّيْكِ في يدي وناولتهما لكِ كي تضعي القدم المغسولة في خُفِّها مباشرة..

ما هذا الشيء على شفتيْكِ يا صغيرة؟.. لو تركتُ لخيالي العنان؛ لقلت إنها أليافُ لحمٍ قاس..

غسلتِ فمكِ بسرعة ثم مسحتِ على وجهكِ وابتسمتِ لي ثانية..

ـــ"هيا نخلد للنوم.."

وفي الفراشِ العريضِ غيرُ المريح، امتدتْ ذراعُكِ تعانقني.. لكني لم أستشعر عاطفة ما.. كنت أنظر للسقف المُدعم بألواح الخشب وأفكر..

الحقول؟.. قلتِ إنكِ جئتِ من الحقول.. لكن فكرة مروعة خطرتْ لي.. أعتقد أن الاتجاه الذي جئتِ منه هو المقابر.. فلماذا ترغب فتاة في أن تمشي وسط المقابر وحدها ليلاً؟

جسدُكِ يلتصق بي، فأشعر نفورًا..

ثمة لغز ما.. لغز غريب يحيط بك..

كانت هذه هي اللحظة التي قررتِ فيها أن أستشير صديقَ طفولتي (مصطفى) الطبيب النفسي البارع.. هل هناك شيءٌ مثل الولع بالموت؟

* * *

و(حسن) يواصل تقليب الشاي شارد الذهن..

قال د. (مصطفى) في غموض:

ـــ"على كل حال أنا لا اعرف التفاصيل، وأقترح أن تمر عليّ مع (هالة).. أولاً يجب أن اعرف سبب هذه العقدة.. ثانيًا يجب أن أعرف متى بدأت.. إنها تندرج تحت خانة الشذوذ العنيف جدًا.. (فرويد) وضعها في سلة واحدة مع داء (الكوبروفيليا)!"

ـــ"كوبروفيليا؟"

ـــ"نعم.. عشق براز الآخرين!"

كان هذا كافيًا كي يوشك (حسن) على

معدته.. الله يخرب بيتك.. لا تضع كلَ شيءٍ أمامي

وقتٍ واحد.. لا شكَّ أن الطبَ النفسيَ يحوي ما هو

أغربَ وأبشعَ لكن أرجوك لا تصارحني بكل شيء..

حاول أن ينسى هذه السيرة، فشرد ذهنه من

جديد محاولاً تذكر متى لم تعد (هالة) هي (هالة)..

* * *

كانت (هالة) نموذجًا للزوجة الطيبة.. ليست بطلة

من بطلات السينما لكنها -على أقل تقدير- لا تجعل

حياته جحيمًا..

في البدء بدأت تتحدث عن الملل.. عن بقائها

وحيدة في الدار حتى عودته، وهو مهندس بترول قد

يغيب أيامًا عن البيت، وهي لم تُنجب بعد برغم مرور

عامين من الزواج، حتى بدأ الأقارب يتحدثون عن هذه

المشكلة وعن وجوب البدء في استشارة الأطباء (الأمر

الذي لم يفعله قط)..

قالت له إنها راغبة في البحث عن عمل.. لقد درست

الكمبيوتر لذا هي تفكر في شركة تعمل فيها. من ناحية تبدد

الملل، ومن ناحية تساهم في مصاريفها على الأقل..

شركة كمبيوتر تعمل فيها.. هناك شركة قريبة

فيها صديقٌ قديمٌ له يدعى (ممدوح).. لا بأس.

هكذا بدأت تندمج في عملها الجديد.. لكنها لا

تتكلم إلا عن (هيام) مصممة الجرافيكس التي عرفتها في

الشركة.. فتاة بارعة الحسن مكتملة العقل..

جميل أن تسمع عن (هيام) مرة أو مرتين لكن لا

يمكن أن تسمع عنها عشرين مرة في اليوم، خاصة وأنت

لا تعرف عنها أي شيء ولا يهمك هذا..

(هالة) تخرج مع (هيام)، تذهب للعمل مع (هيام)،

تتنزه مع (هيام)، تنتقي أثوابها مع (هيام)، تزور (هيام)..

تزورها (هيام).

لقد رأى (هيام) مرة وبدت له حسناء فعلاً.. نوع

الفتيات اللاتي كن سيدرن رأسه قبل الزواج ولربما لاحقها..

لكنه قد اكتفى بـــ (هالة) وحمد الله على أنه وسط كل هذه

النعرات العاصفة في المجتمع، لم تزل هناك فتاة يمكن أن

يعتبرها سكنًا له..

قالت له (هيام) ضاحكة:

ـ"(هالة) زهرة يانعة.. فلتأخذ بالك منها يا باشمهندس.. لولا أنني أنثى لخطفتها منك.."

كل هذا جميل.. (هالة) سعيدة وهذا هو المهم.. المشكلة الوحيدة هي أن هذه المعرفة تتزامن بالضبط مع تلك التغيرات التي أقلقته بصدد (هالة)..

ذات يوم على الغداء قالت (هالة):

ـ"إن (هيام) تريد ابتياع ثياب مدرسة جديدة لابنتها.."

توقف عن الأكل ونظر لها في صمت ثم قال:

ـ"قلت لي من قبل إنها غير متزوجة!"

قالت في عصبية:

ـ"أنت تخلط الأوراق.. (هيام) أرملة ولديها طفلة.. لقد توفي زوجها في حادث منذ عامين.."

ـ"لم تقولي هذا قط.. قلت إن الرجال يطمحون لها.."

ـ"هذا لا يمنع.. كم من أرملة حسناء تداعب أحلام الرجال.."

ـ"أنت قلت إنها غير متزوجة.."

ـ"والآن أقول إنك لا تركز فيما أقول.. هكذا الرجال جميعًا.. تتحدث نساؤهم فيهزون رءوسهم متظاهرين بالمتابعة وهم لا يعون حرفًا.."

ـ"ربما.."

قالت وهي تبعثر طعامها كما تفعل القطط:

ـ"إن (شذى) ستمر علي لأرافقها إلى المتاجر.."

ـ"ومن (شذى) هذه؟"

ـ"أخت (هيام).. هل لديك اعتراض؟"

قال باسمًا وهو يضع الملعقة في طبقه:

ـ"ليس لدي اعتراض.. فقط عندما كلمتني عن (هيام) قلت إنها (مقطوعة من شجرة) وليس لها أيُّ أقارب!.."

ثم غادر المائدة قبل أن تشتعل حربٌ أخرى..

* * *

بعد ساعة واحدة من حديثهما السابق على مائدة الطعام -المليء بالأكاذيب من وجهة نظره- كانت واقفة أمامه في كامل زينتها ومتأهبة للخروج قالت:

- (حسن) سوف أخرج الآن.. لقد تأخرت علي ميعاد (شذى)..

رفع رأسه لينظر لها ولكنه شعر بهزة رهيبة في جميع أوصاله، هزة بدأت من ظفر قدمه حتى شعر بها توقف شعيرات رأسه وتساءل في أعماقه:

- هل ستكتشف رعبي الآن من مظهر شعر رأسي؟!

ولكن الرعب تسلل إلي قلبه كما لم يشعر منذ سنوات فهو بالكاد استطاع أخيرًا أن يتناساه، من قال إن رعب الطفولة يمكن أن يُنسى بسهولة؟!، وبصعوبة شديدة استطاع أن ينطق وهو يشير بإصبعه المرتجف نحوها محاولاً ألا تظهر ارتجافتهُ في صوته:

- ما هذا الذي ترتدين في عنقك؟

ارتجفت الكلمات علي شفتيها قبل أن ترد وهي تشير إلي القلادة في صدرها.

- هذه؟ أنها قلادة.

تمالك ذاته -قليلاً- ظاهريًا ومازال الهلع يتملكه بشدة من الداخل وقال:

- أعرف جيدًا أنها قلادة، ولكن من أين أتيتِ بها؟

- إنها.. إنها.. لقد استعرتها من (هيام).

- (هيام)؟!!

قالها في تعجب وعيناه مازالتا تتركز على القلادة ليتأكد مما يدور داخله، ولكنه تساءل بحذر:

- ومن أين أتت بها (هيام)؟

- ومن أين لي أنا أن أعرف؟.

وهمّتْ وهي تلتف خارجة وقالت:

- أرجوك لقد أخرتني كثيرًا علي موعد (شذى).

خرجتْ.. وهمّ هو في سرعة كالكلب المسعور ليبحث في متعلقاتها عن أي شيء يبدد قلقه أو حتى يؤكده. ولكنه لم يجد أي شيء مثير.

* * *

- أؤكد لك يا د.(مصطفى) أنها هي.. أحلى عين..

عينٌ صناعية من الزجاج علي ما أعتقد، كانت لوالد صديقي (ممدوح)، وكان يضعها قبل وفاته بدلاً من عينه التي فقدها في حادث وقد دُفِن بها، وكنت أخشاها بشدة وأنا طفلٌ صغيرٌ وأخشى النظر إليها، وكم مررت بأيام عصيبة عندما قضيتُ معهم المصيف في أحد المرات وأنا طفل، عقليتي وقتها جعلتني أرسم كلَ قصص الرعب الممكنة حول هذه العين وقد عادتْ كلُ مخاوف الطفولة هذه؛ لحظة رأيتها في عنقها، وأقسم لك أنها هي فلا يمكنني نسيانها؛ فقد كان بها شرخٌ واضحٌ وكان هو ما يزيد من رعبها، وكل ما زاد عليها ذلك الإطار الذهبي الذي وُضعتْ فيه.. أخبرني يا (مصطفى)، هل العيون الصناعية المنزوعة من قبور الموتى؛ تدخل في نطاق هذه (النكروفيليا)؟؟!

* * *

– اعتقد هكذا قد انتهت الأيام الثلاثة ولم تتصل بي (شذى) ولا بد لي الآن أن أرسل لها بريدًا الكترونيًا لأعرف ما حدث؟

شيءٌ عجيب!.. لم أرَ ردًا علي رسالة أسرع من رد (شذى) علي رسالتي هذه.. نص الرد جاف سريع كُتب على عجل:

– أستاذ (ممدوح) أرجوك أدخل علي (الماسينجر) أريد إجراء (شات) معك فورًا، أنا في انتظارك.

هكذا دخلتُ هذا البرنامج اللعين المسمى (الماسينجر) لتبدأ المحادثة سريعًا..

– مساء الخير أنسه (شذى).

– مساء النور يا عزيزي.. ليس هناك وقت.. إنني مُراقَبة بشدة وهناك خطرٌ فادحٌ عليك كما قلت لك من قبل، أريد مقابلتك في مكان لا يثير الشبهات حولنا.. سوف أنتظرك في مقابر (باب الوزير).

– بالفعل يبدو كمكان عادي جدًا وعام ولا يثير الشبهات.. هل جننت؟..

– أدخل من البوابة الخارجية ثم أبحث بين المقابر علي مقبرة عليها لافتة مكتوب عليها بخط ركيك عبارة (هذه نهايتنا جميعا فلنتعظ).

– (شذى) لماذا هذا المكان بالذات؟ لِمَ كل هذا التعقيد.. المقابر؟!!!

– أرجوك أستاذ (ممدوح) نفذ ما أقول، إنه لصالحك وعليك لقائي هناك بعد ساعتين من الآن.. إلي اللقاء.

تم مغادرة (شذى) المحادثة

لدي إحساس رهيب بالرعب والغباء، لماذا أوافق
على ما تقوله لي؟ لماذا أصدقها؟، ولكن لابد لي من التنفيذ
شيءٌ داخلي يقول لي إنه لابد لي من أن أفعل ما تقوله
الساعة الآن الرابعة إلا ربع، باقي ربع ساعة على الميعاد
أعتقد أنها لابد أن تكون دقيقة مثل الموت مثل أختها وإلا لما
طلبتء مني مقابلتها في هذا المكان.. ولكن...

لقد تخطت الساعة الرابعة والنصف والشمس
أوشكت على المغيب.. المكان موحش وهادئ بشدة ومثير
للرعب بجنون.. هل تلعب بأعصابي مثل ما تفعل أختها
الموصومة هذه كي يصيباني بالجنون، هل تؤدي دورًا كتبته
لها هذه الهيام؟؟

الهي، أكاد ارتعد وضربات قلبي تنتفض لولا خوفي
من أن يُسمع صوت هذه الضربات الخائفة ولكن.. ويحي!
ما هذه الصرخة المكتومة وهذا الظل الخارج ملطخ بالدماء
كما لو كان شخص نهشه كلب في جسده؟، رباه وما هذا
أيضًا الآتي من الجهة الأخرى؟..

حمدًا لله أنها (شذى) ولكنها آتية مرتعبة بشدة -هل
هي مرتعبة حقًا أم مُرعبه؟!، ترى هل رأت ما رأيت؟
ولكنها قالت سريعًا بلهجة قمة في الهلع أو قمة في التمثيل

- (ممدوح) أرجوك بسرعة.. بسرعة كي تخرج من
هذا المكان الرهيب.

كنت أريد أن أسألها عن ماذا أتى بنا أصلاً لهذا
المكان الرهيب طالما يجب أن نذهب سريعًا، ولكني لم أستطع
أن انطق سوى بـــ:

- ولكن ماذا حدث ومَن هذا المُلطخ بالدماء؟

نظرت للجسد المبتعد بسرعة وردت بثقة عجيبة مع
كل هذا الرعب المرتسم فوق وجهها:

- أرجوك اذهبْ بسرعة الآن، وخذ هذه احفظها
معك حتى أتصل بك.

- ما هذه؟ قلادة!!.. لا لا.. أنها عينٌ مشوهة؟؟

ولكني رفعت رأسي فلم أجدها أمامي فقط ظلها
وهي تبتعد، وخلفها قرصُ الشمس الذي ذهب في طريقة
الى الاختفاء.. بماذا تذكرني هذه القلادة؟ إنها تذكرني بشيءٍ
ما أجهله؟؟!!

وفجأة التمعت الإجابة في عقلي..

أنها تلك العين الصناعية التي كان يضعها أبي بعد
الحادث، أكاد ارتجف -بل إنني أرتجف بالفعل- ما الذي

أوصل هذه القلادة إلي (شذى)؟!

* * *

القلق يكاد يقتلني وشيءٌ ما يُلِحّ عليّ وأنا مازلت أعبث بهذه القلادة المرعبة في يدي، يكاد ثقلها النفسي يجعلني لا أطيق لمسها، وكأنها أفعى سامة مجبر على الاحتفاظ بها بين كفي.. فتحت الكمبيوتر وأدخلت الأسطوانة وأخذت أراقب الصُّور مرة أخرى..

ولكنها هذه المرة صور المذبح بدلاً من صورها مع (عصام) ولكن ما هذا؟ هناك تغيرٌ في هذه الصورة حقاً، إنها تقف بردائها الأحمر كما كانت ولكن..

من هذا الذي يقف بجانبها؟.. إنه... إنه أنا، أقف بجانبها تمامًا وعلى وجهي بسمة شيطانية أخافتني أنا ذاتي من ذاتي، وما هذا أيضًا؟ غريبة.. نفس القلادة التي أعطيتها لي (شذى) معلقة في رقبة (هيام) بصورة واضحة.. ولكن مازال هناك ضحية ممزقة على المذبح ترى هل هي أنا أيضًا؟!

ورغم صعوبة ذلك إلا إنني ابتسمت ساخرًا من تساءلي، ماذا يمنع أن أكون أنا أيضًا على المذبح وهل هناك منطق لهذه الصور؟ رباه.. إنها (هالة) زوجة صديقي

(حسن)؟؟!

* * *

قال متنهدًا وهو ينتظر لباب الشقة الذي فُـتِح:

- حمدا لله لقد أتت.

لقد كاد القلق يأكل (حسن) مع كل هذا التأخير الذي تأخرته (هاله).. وتساءل هل سيدخل ضمن غرابة أطوارها الجديدة العودة متأخرًا للمنزل، ولكنه قرر أن يتساءل بهدوء لا يدري أحرصًا عليها أم خوفًـا منها:

- تأخرت كثيرا يا حبيـــ..

وصدم (حسن) وهو ينظر إليها ويسألها:

- رباه ما هذه الحالة التي أنت بها وما هذه الدماء والغبار؟ وماذا أصاب ثيابك كما لو كنت في زيارة إلي المقابر لا في زيارة للسوق.. ماذا حدث.. ثم.

واصل وهو يحاول ابتلاع ريقه بصعوبة:

- وأين ذهبت القلادة التي خرجت بها في عنقك؟!

ولكنه لم يلقَ أي رد..

* * *

كانت القصة تزداد تعقيدًا بالنسبة لي..

هناك عدة أطراف في الموضوع.. (هيام).. (هالة) زوجة صديقنا (حسن).. (شذى).. هناك إنذارٌ مستمرٌ في بوجود خطر ما.. من الجميل أن تعرف بأن خطرًا يتهددك، لكن هذا الإنذار يفقد قيمته عندما يتكرر بإفراط، فتصير حياتك كلها خطرًا دائمًا.. قلادة فيها عين أبي الزجاجية جاءت بها (شذى).. كيف حصلتْ عليها؟.. من (هيام)؟.. هل نبشتْ قبرَ أبي؟.. أنا أكره (هيام)، لكني لا أستطيع أن أراها تنبش قبرًا كـ (بنات آوى)..

واعتصرت ذهني محاولاً تذكر مَن تعامَلَ مع جثمان أبي يوم وفاته؟.. الاحتمال الأكبر هو أن هناك من انتزع العين لأن تركها في الجثة خطأ.. هذا الشخص هو من حصلتْ منه (هيام) على العين الزجاجية.. لكن لو افترضنا هذا، فمَن المخبول الذي يضع عينًا زجاجية في قلادة؟.. هذه الأشياء التي تمت للجسم البشري بصورة حميمة تثير التقزز في النفس.. ما زلت أرتجف من منظر طاقم أسنان يسبح في كوب ماء جوار فراش (حسن).. وما

زلت أكره المرور جوار مقلب قمامة المستشفى العام؛ لأن منظر قمصان الجبس أو ذراعٍ من الجبس ملقى هناك يثير هلعي..

ثم تلك الصُّور على جهاز الكمبيوتر؟..

إنها لغزٌ كبير.. في كل مرة تتخذ شكلاً آخر..

ثم بدأ الشعر يتصلب في مؤخرة عنقي.. ما أواجهه لا يتعلق بمضايقات العمل بل يتعلق بـ... "بسم الله الرحمن الرحيم"..

الأمر يتجاوز التفسيرات المادية ليدخل في عالم مريب مخيف.. هذا واضح..

الحقيقة الواضحة منذ البداية وأنا أحاول تجاهلها والدوران من حولها، هي أن هذا كله لا يمت لعالمنا بصلة..

من هي (هيام) فعلاً؟.. كل الأسئلة تدور حول (هيام).. فمن هي؟.. ربما كان السؤال الأدق هو: ما هي؟

* * *

الإجابة جاءت في منتصف الليل..

كنت نائمًا في غرفتي، عندما صحوت.. لماذا صحوت؟.. حقًا لا أعرف.. وليتني ما فعلت..

كان ذلك الصوت يتحرك في غرفة مكتبي، وكنت بين النعاس واليقظة عندما نهضت مترنحًا حافي القدمين بسروال المنامة والفانلة الداخلية.. أهرع إلى مصدر الصوت وقلبي يخفق..

كان المكتب مضاءً بتلك الإضاءة الخافتة التي زوّدته بها.. إضاءة تسمح بالتركيز أمام شاشة الكمبيوتر ولا تصيبك بالعمى..

إن الباب في موضع يسمح لمن يقف في الصالة أن يقف في الظلام يراقب الجالس على المكتب لفترة، وكم من مرة كنت أعمل فيها في انهماك لربع ساعة قبل أن أدرك أن أمي –رحمها الله– واقفة هناك تصلي الفجر على بعد ثلاثة أمتار مني، وكان قلبي يثب في ضلوعي في كل مرة..

ـ"ألن تتعلمي إحداث ضوضاء يا حاجة؟.. [illegible] حفيف أو سعلة عابرة أو (سلامو عليكم)"

ـ"أخاف أن أنتزعك من تركيزك"

ـ"لكنك توشكين على انتزاعي من عالم الأحياء أصلاً.. لو كنتُ أكبر عشر سنوات لقضيت بنوبة قلبية."

فكانت تقول: إن شاء الله أنا.. وأشياءً من هذا القبيل، لكنها لا تتعلم إحداث ضوضاء أبدًا.. من المستحيل أن يتعلم المرء أيَ شيءٍ جديدٍ بعد سن الخمسين..

المهم أنني وقفتُ حيث كانت أمي تقف، ورحتُ أنظر إلى داخل الحجرة..

تلك الفتاة الواقفة في غرفة المكتب منحنية على شاشة الكمبيوتر.. منهمكة بشدة..

(هيام).. لا شك في ذلك.. لقد تجاوزتْ حدودها بحق.. لكن الأهم هو أنني أخشاها كثيرًا.. أنا أول شاب قوي البنية يصيبه كل هذا الهلع من فتاة حسناء تتسلل وحدها لداره..

السكين الكبيرة التي نقطع بها البطيخ على مائدة الطعام.. أعتصرها بيدي.. أتجه نحو الباب وأطل أكثر..

تستدير (هيام) نحوي..

لم تعد (هيام) هي (هيام).. لقد انتهى كلُ شيء..

لم تعد لها عينان.. لم يعد لها وجه محترم.. المشهد كله أقرب إلى مؤثرات فيلم رعب شديد الإتقان.. الوجه أقرب إلي قطعة صلصال تم تشويهها بسكّين، والعينان جمرتان.. بالضبط جمرتان.. من الفم يسيل خيطُ لعابٍ سميكٌ أبيض..

ومن الثقب الذي كان فمها أسمع:

ـ "ما كان يجب أن تتدخل في أموري لهذا الحد."

يخرج الصوت ثلاثيًا رباعيًا خماسيًا كصوت الأشباحِ في الأفلام.. بشكل ما كنت أتوقع هذا..

في هذه المرة لم أنتظر.. لم أنتظر أن تبدأ هي، بل أطلقتُ صرخة أرعبتني أنا نفسي ووثبت إلى داخل الغرفة.. وقبل أن تقول هي أيَ شيءٍ أغمدتُ السكّين حتى المقبض في صدرها ثم نزعتها.. ليس بهذه السهولة. لابد أنها ستعيش طويلاً جدًا..

أغمدتُ السكّين.. أخرجتها.. أغمدتُ السكّين..

أخرجتها.. أغمدتُ السكّين.. أخرجتها.. أغمدتُ السكّين.. أخرجتها..

الدم يتناثر على وجهي ويغرق شاشة الجهاز..

إنها تصرخ وصرختها كما توقعتُ بالضبط.. صرخة شيطان يحترق في جهنم..

رباه!.. ليته كل هذا!.. ليته!.. لماذا لا تموت؟..

إنها لا تموت فعلاً.. إنها تلُفّ ذراعيها حولي.. قوتها جديرة بأن..

لا !!!!!!

* * *

صحوتُ من النوم صارخًا لأجد أنني في فراشي..

كلُ شيءٍ هادئ ورائق وصاف.. شمس الصباح تتسلل خافتة خجولاً من نافذتي..

لقد كان كابوسًا..

أجمل ما في الكوابيس أن تصحو لتعرف أنها كذلك..

الكتاب جوار الفراش.. كوب الزبادي الفارغ..

هذه معطيات قديمة جدًا.. بعبارة أدق هي موجودة قبل أن يحدث أيُ شيء..

معنى هذا –ببساطة– أن المغامرة لا وجود لها!.. لا قلادةَ ولا (شذى) ولا هالة وصورَ على جهاز الكمبيوتر.. كان هذا كابوسًا طويلاً كريهًا بالغ التعقيد!

انا أكره (هيام)، لكن ليس إلى هذا الحد..

نهضتُ من النوم منتعشًا.. واتجهتُ للحمام فغسلتُ وجهي.. سوف أذهب للعمل بعد نصف ساعة.. هناك ألقى (هيام) الحقيقية.. (هيام) الكريهة لكنها غير المرعبة.. مَن يدري؟.. لربما شعرتُ أنني أهيمُ بها حبًا هذه المرة..

عدتُ إلى غرفة النوم فبدأت أبدّل ثيابي.. هنا سقطتْ عينيَّ على شيءٍ على (الشوفنيرة).. شيء ألقيت فوقه منشفة حتى لا أراه..

قلادة مخيفة الشكل.. قلادة أكرهها وتمنيت لو لم أرَها..

لكن.. معنى هذا أن...؟

هرعتُ إلى غرفة المكتب فوجدتُ ما كنت

أخشاه.. الكمبيوتر والبساط والجدران ملوثة ببقع الدم..

لم يكن كابوسًا إذن..

كل هذا كان حقيقيًا.. و(هيام) كانت في غرفة مكتبي هذه الليلة بالذات وقد طعنتُها!

* * *

في الأيام التالية ظهرتْ (هيام / المسخ) في منزلي كثيرًا جدًا! وفي كل مرة كنت أقتلها بطريقة ما.. وكانت تترك آثارًا مادية.. أقتلها وأهرب.. أقتلها وأذهب للنوم لا أدري.. ولكني أستيقظ في كل مرة حاسبًا أن هذا كابوس.. ثم أتبين الدماء أو اللعاب أو السوائل الخضراء الجافة؛ نتيجة الصراع! وكان هذا عجيبًا في الواقع. بطريقة ما أدركتُ أن هذا المسخ أبله!.. لا أعرف كثيرًا عن المسوخ؛ لأن من قابلوهم لم يعيشوا بعد اللقاء ليحكوا! أما (مسخي) الخاص فقد قتلته أربع مرات حتى الآن، ولابد أنه أمسى مادة للمزاح بين أصدقائه من المسوخ!

* * *

طبعا انقطعتُ عن العمل.. من الصعب أن أقتل المسوخ ليلاً ثم أعمل معها صباحًا، فهذا كثيرٌ. ألا ترى هذا معي؟

كانت المشكلة هي الفجوة بين عملية القتل وبين استيقاظي شاعرًا أن هذا فقط كابوسٌ ثقيل.. وكان لدي خيطٌ وحيدٌ بعد الاختفاء المريب لـ (شذى) وهو (هالة)

التي ظهرتْ مؤخرًا في صورِ حفلاتِ الطقوسِ الوثنية.. هاتفتُ (حسن) زوجها من هاتفي الجوال وأبلغته أن يوافيني بالكافيتريا العتيدة لأحادثه في أمر طارئ.. لحسن الحظ وجدتُه في عطلته الشهرية من عمله البترولي! بدا راغبًا في المساعدة بشكل عجيب؛ فقد كنت أتوقع أن يتملص، إلا أنني عرفتُ السببَ بعد أن لقيته.. هو وصديقه الدكتور (مصطفى) الطبيب النفساني. عرضتُ عليهما ما لديّ وعرضا عليّ ما لديهما.. وكانت استنتاجاتنا مثمرة حقًا:

1- (هيام) ساحرة / مسخ.. لا شك في ذلك.

2- (عصام) -مديري- متعاونٌ معها بشكلٍ ما.. وقد تسببتْ خيانته لها في إصابتها "بالوصم".. ربما أدى هذا إلى فصلها من نادي الساحرات الشريرات، أو أي شيءٍ هام يناسب ردة فعلها الغريبة بإلقاء القهوة في وجهي!

3- أحدهما -(هيام) أو (عصام)- عبث بجهازي الشخصي ليخفي الصُّور التي تظهر بها جثتي.

4- (هيام) جنّدتْ (هالة) في "نادي الساحرات".. لا أدري بعد ما إذا كانت (هالة) ساحرةً هي الأخرى أم

أنها فقط ضحيةٌ محتملة.

5- (هالة) تتسلل إلى المقابر ليلاً لتأكل اللحم النيء! لا أجسر على القول إنها تأكل الجثث لأن هذا شنيع!

6- (شذى) تعرف الإجابات وتلعب دورَ (بافي) ذبّاحة مصاصي الدماء أو بالأحرى (بلايد) الذي كان يومًا من مصاصي الدماء ثم صار من ذباحيهم هو الآخر!.. لماذا لم "تتحول" (شذى) هي الأخرى؟ وما مدى قدرتها على إفساد خطط أختها؟.. لا أدري.

7- المعركة التي شهدتُها في المقابر بين كل من (شذى) و(هالة) كانت تهدف إلى انتزاع القلادة وتسليمي إياها..

8- هناك شيءٌ مهمٌ عليّ أن أفعله بالقلادة.. لا أدري ما هو بالضبط.

قال الدكتور (مصطفى) في استمتاع وهو يرشف قهوته:

- "الحق أنها قصة مثيرة!"

قلت في سأم:

- "أنت تجدها مثيرة لأن أحدًا لا يطالبك بقتل مسخ في كل ليلة!"

"لم أقصدا.. أردت القول إني مهتمٌ ولكن دعك من هذا.. المهم هو أن نعرف بم برّرت (هالة) لزوجها الغبارَ والدماءَ وغيابَ القلادة.."

قالها ونظر مستفهمًا إلى (حسن) الذي قلّب شفتيه في حيرة:

- "لم تقل شيئًا!.. عندما رجعتُ من الخارج لم ترد على تساؤلاتي مطلقـًا وفي اليوم التالي لم تذكر شيئًا مما حدث، واعتبرتني معتوهًا"

قال د.(مصطفى):

- "لعلها لا تذكر شيئًا حقـًا.. وهذا لا يترك لكما -في ظل اختفاء (شذى)- إلا أن تقوما بزيارة استكشافية لمنزل (هيام)"

قال (حسن) وهو يقضم شفتيه:

- "وماذا يمكن أن نفعل هناك؟"

قلت في انفعال:

- "تكتشف ما المقصود من هذا كله.. ننتهي من الإنذارات.. نقتل الممسوخ.. ننقذ (شذى) و(هالة) إن كانتا في خطر.. أو نقتلهما إن كانتا هما الخطر! المهم أن نفعل شيئًا إيجابيًا.. لقد سئمتُ انتظارَ المسخ في كل ليلة كأني دجاجة تنتظر الذبح"

قال د.(مصطفى):

- "هذا جميل، ولكن يجب أولا أن أفحص (هالة).. إن نتائج الفحص ستوفر بالتأكيد بعض المعلومات التي ربما نتمنى لو كنا عرفناها قبل اقتحام منزل الساحرات ذاك"

قال (حسن):

- "ومتى يكون ذلك؟"

- " الليلة.. ومن الأفضل ألا تعلم (هالة) بزيارتي لكما.."

* * *

في الصباح التالي اجتمعنا لبحث الخطوات التالية.. تبين أن زيارة د.(مصطفى) لـ (حسن) وزوجته

كانت سلبية تمامًا.. لم تُبدِ (هالة) أي معرفة بالقلادة أو بـ (هيام)!! لم تذكر كذلك واقعة المقابر مما جعل د.(مصطفى) يبدو كالمتطفل.

قمنا -(حسن) وأنا- ببعض الاستعدادات لدخول البيت ثم توكّلنا على الله واتجهنا إليه.

* * *

رأيتاهن يبتعدن..

كان هذا هو الوقت المناسب بالفعل وإلا فلا.. (هيام) و(هالة) و(شذى) يخرجن في واحدة من رحلاتهن المتكررة.. رأينا المشهد ونحن جالسان على ذلك المقهى الذي يقع على بعد خمسين مترًا من بيت (هيام).. طبعًا كنا جالسين في الداخل كي لا يرانا أحد، خاصة الكوّاء الذي سوف يتذكر وجهي على الفور..

قلت لـ (حسن) وأنا أدفع الحساب:

ـ"طبعًا من الوارد جدًا أن نقابل (ريهام).. الأخت الأخرى التي لا أعرفها وإن رأيتها في الصُّور.."

قال وهو ينهض:

ـ"من يدري؟.. ربما لا توجد (ريهام) أصلاً.. نحن لا نعرف (ريهام) إلا من قصص (هيام).."

على كل حال كنا مقبلَين على عمل بالغ الخطورة.. لو لم تكن (هيام) شيطانة أو ساحرة وكانت تنتظر هذه الخطوة الغبية منا، فإننا سنقوم بعمل يوصف

لخمس سنوات في الظل كما يقول الغربيون.. (ممدوح) مهندس الجرافيكس المحترم سوف يصير (هجامًا) في عُرف القانون، وسوف يصفعه الصول (بسيوني) على قفاه ويلقون به في التخشيبة..

هل أنا خائف من (هيام) أم خائف من القانون؟.. كلاهما مرعب.. لكني أخاف (هيام) أكثر..

توكلنا على الله وصعدنا الدرج المتداعي الرطب العتيق، إلى أن بلغنا الشقة التي زرتها من قبل..

جاء دورك يا (حسن).. إن زوجته تحتفظ معها بمفتاح شقة (هيام) كجزء من العلاقة الحميمة الزائدة عن الحد بين الأنثيين، فالصديق لا يحتفظ بمفاتيح بيت صديقه.. على كل حال أفادنا هذا لأننا قمنا باستخراج نسخة..

أولج (حسن) المفتاح في القفل وحبس نفسه..

كليك!..

الباب استجاب بلا مقاومة وسرعان ما وجدنا أننا داخل الشقة المظلمة..

أين مفتاح النور؟.. قلبي يكاد يثب من فمي.. إن

اللصوصية لعبة صعبة يستحيل أن تبدأ تعلّمها في هذه السن.. برغم كل شيء لا تنكر أن اللصوص لا يفتقرون إلى الجرأة..

أين مفتاح النور؟

هنا شعرت بذلك الشيء اللعين يزأر في جشع، ثم أدركت أن يدي ممزقة تنز دمًا..

صرختُ فهتف (حسن) في الظلام:

—"ماذا حدث؟"

لم أرد لأني كنت أبحث عن مفتاح النور..

في النهاية غمر الضوء المكان، ونظرت إلى مصدر هذه الإصابة الكريهة..

كان هناك جوارَ البابِ تجويفٌ في الجدار.. تجويف هو جزءٌ من الديكور، لذا وضعتُ فيه مزهرية قبيحة الشكل وشمعدان من فضة.. وفي هذا الموضع كان القط الشرس يقعي عندما وجد يدي تمتد نحوه بحثًا عن مفتاح النور..

(روبي)!.. تذكرت الآن إنه موجود.. القط

المرعب الذي رأيته في الصُور من قبل، وكل ما رأيته لم يكن يعبّر عن مدى ضخامته وبشاعته..

أصدر فحيحًا مرعبًا فسببته سبة بذيئة، ومن المدهش أنه تراجع للخلف في ذعر..

عدنا نواصل استكشاف المكان في صمت..

كانت هناك صالة ضيقة تفضي إلى حجرتين.. مددتُ يدي أفتح الحجرة الأولى في حذر.. أضأتُ النور وتقلص وجهي..

خرجتُ مسرعًا فهتف (حسن) في دهشة:

—"ماذا هنالك؟"

قلت وأنا أجره من يده:

—"لا تنظر.. أنصحك ألا تنظر.. بل آمرك بذلك.."

ثم أضفت وأنا أتجه نحو باب الغرفة التالية:

—"إن (ريهام) موجودة.. حقيقية.. لكن يجب أن ننهي مهمتنا ونرحل سريعًا.. يجب أن تسافر مع زوجتك بعيدًا.. يجب أن تبلغ الشرطة لتفتيش هذا البيت..

سنقول إنه خلية إرهابية أو أيَ شيء يثير فضولهم.."

ـ"ممدوح.. انا لا أفهم.. يجب أن تكون أكثر وضوحًا.."

ـ"لو صرت أكثر وضوحًا لتوقف قلبك حالاً.."

وفتحتُ باب الحجرة التالية متوقعًا مشهدًا أسوأ..

لكن الحجرة كانت خالية.. بها فراش مرتب وخزانة ثياب وتسريحة.. غرفة امرأة لا يميزها شيء.. امرأة من الطبقة الوسطى لا تملك الكثير من المال على كل حال..

هنا صرخ (حسن)..

عندما سقط على الأرض فهمت..

نسينا (روني).. ثم نسينا (ريهام).. الآن نسينا.. نسينا ابنة (هيام) التي هي في السادسة من العمر..

كان (حسن) الآن على الأرض بينما طفلة صغيرة تجثم فوقه وهي تطلق عواء مريعًا.. طفلة تحاول الوصول لحنجرته.. لقد رأيت هذا المشهد في مكان ما من قبل ولا أذكر أين.. لكنه مشهدٌ مروّع بحق.. كأنه ذئب

يحاول افتراس ضحيته. فقط يبدو الذئب كطفلة في السادسة، ومن الواضح أن قوتها مرعبة..

صرخ (حسن) وهو يحاول انتزاع هذا الكابوس من على صدره:

ـ"أنقذني!.. إنها مسعورة!"

مددت يدي وانتزعت الطفلة -لو كان لي أن أقول كذلك- عن صدر الرجل، وألقيتها بلا حذر لترتطم في الجدار، يجب أن نفر من هنا.. يجب..

ساعدتُ (حسن) على النهوض، وعيناي لا تفارقان الصبية المخيفة..

كانت تنهض من جديد وقد سال الدمُ من رأسها.. لكني أدركتُ على الفور أن النظرة على وجهها لا تمت للأطفال بصلة.. هذا كائن شيطاني بشع أقرب إلى قزم شرير..

رأيتها تتجه نحونا من جديد عازمة على الهجوم مرة أخرى.. تراجعتُ إلى الوراء واستعددت..

هنا فتحت فمها.. وبصوت مخيف خشن قالت

وهي تنظر لي:

ـ"بابا!!"

* * *

بابا!

كلمة (بابا) تدوي في ذهني.. تخترق طبقات وطبقات من النسيان..

الآن أعرف من أنا.. ما الهدف من وجودي..

أعرف كيف توفـــّيت والدتي رحمها الله..

أعرف لماذا كانت (هيام) تلاحقني. أنا صنعتها ثم تخليتُ عنها.. صنعتهن جميعًا ثم تخليتُ عنهن.. محوت ذاكرتي بنفسي..

الصُور.. تلك الطقوس الدورية التي كنا نقوم بها في المقطم.. (شذى) لا تعرف من أنا حقـًا.. (هالة) لا تعرف من أنا حقًا.. (هيام) تعرف كلَ شيءٍ لكنها تنسى على الأرجح. والكل يفترض أن (هيام) هي الخطر.. أنا الخطر الحقيقي الوحيد!.. والأدهى أنني نسيت هذا..

بابا!...

كان (حسن) يتراجع إلى الخلف وهو لا يفهم ما يجرى.. فقط قال:

ـ"هذه الطفلة.. لماذا تناديك بلفظة بـــ.."

ثم لم يكمل عبارته لأنني وثبت عليه..

يااه!.. منذ متى لم أذق هذا الطعم؟؟؟؟

* * *

الآن أعرف أنني عدت.. لكنني لا أعرف كيف نسيت كل هذا، أو بمعنى أصح تناسيت كل هذا..

كنت أود الهروب.. ربما لأنني لم أصدق هول ما فعلت..

لقد صنعت تلك المسوخ يومًا ما، لكن كل هذا لا يهم الآن..

إن ما فعلته مع صديق عزيز مثل (حسن) شيئًا صعبًا، لكن الأصعب هو أن تظل جائعًا كل هذه الفترة.. ولا أستطيع أن أنكر أن (حسن) أنعش ذاكرتي أكثر.. أنا الآن اعرف من أنا وماذا يجب علي أن أفعل؛ لذا اتجهتُ بخطوات ثابتة نحو المكتب الذي أعرفه جيدًا..

صاحتْ الصغيرة التي هي ابنتي:

- لقد تأخرتَ كثيرًا يا بابا!

لم اكترث لها واستمررت بالمشي وأنا أعرف أنه لن يتبعني..

لا أحد من هذه الحيوانات المفترسة يجرؤ على إتباعي لمكتبي ولا حتى هذا الشيطان الصغير الذي سيصبح وريثي..

الآن أتذكر متى بدأت القصة..

لندن عام 2000 بشوارعها الباردة الضبابية.. أثناء إعدادي الماجستير..

عرفته هناك أثناء جولتي بأحد القصور المقامة منذ العصور الوسطى.. كان من أكثر الرجال ثقافة.. يعرف كل شيءٍ عن تاريخ (أوروبا)؛ لذا لم أندهش كثيرًا عندما عرفتُ أنه مدرسُ تاريخٍ في العقد السادس.. لكنه في قمة الحيوية والنشاط .

نما بيننا نوعٌ من الصداقة ودعاني لقصره الإنجليزي العتيد.. عندما دخلتُ للبهو كان في استقبالي.. أخبرني أنه ورثه من أجداده ويحيا هنا هو وابنته الوحيدة.. بعد ذلك دعاني للاقامة معه في القصر الفسيح.. تعجبت من هذه الدعوة الكريمة ورفضتها في أدب، هنا خرجتْ هي لتجعلني أغير رأيي..

ابنته كانت أجمل فتاة يمكنك أن تراها في حياتك.. زهرة رقيقة جميلة.. بمجرد أن رأيت عينيها لم أملك إلا أن أوافق على كل ما تريد وكأني مسحورٌ تمامًا..

"ألا تريد أن تبقى معنا؟"

هكذا قالت في دلال، فلم أملك سوى أن أفتح فمي كالأبله وأوافق دون قيد أو شرط..

ولم أكن أعرف أنني سأرى أسوأ كوابيسي في هذا القصر..

مرت الأيام بنا، وكان كل ما تفعله (سارا) يروق لي.. كانت زهرة أنيقة تكره المنزل المقبض وتحرضني باستمرار على أن نهرب أنا وهي من هنا..

لم أكن أفهم معنى ذلك، حتى فهمت أنني هنا ليس بصفتي ضيفـًا، وإنما أنا سجينٌ قاده حظه التعس ليقع تحت يد هذا الرجل الذي هو أبوها..

ليس من الرائع أن تقع بين مخالب رجلٍ يقضي أوقات فراغه في ممارسة السحر الأسود.

اعترفتْ لي (سارا) بسر أبيها الصغير، وأخذت

تلح عليّ بالهرب قبل فوات الأوان.. لكن الأوان كان قد فات بالفعل عندما استيقظتُ أحد الأيام من النوم لأجده في حجرتي، وقلادة تتدلى بين أنامله معلقة بها عين أبي الزجاجية.. قرّبها مني وهو يهمس بتعويذة ما، جعلتني أتجمد في مكاني ثم ألبسني إياها وقال بثقة:

– أنت المختار! لقد اختاروك.. وأنا لا أخطئ أبدًا..

من لحظتها تغيرتْ كل أهدافي، لم أعد مجرد مهندس جرافيكس عادي.. لقد تغيرت الأمور كثيرًا.. لقد وقع علي الاختيار "منهم" وسأقوم بمهمتي على أكمل وجه..

أنا أعرف المطلوب مني الآن..

لقد وجدوني.. تلك مهمتي التي ولدت من أجلها ويجب عليّ التنفيذ..

كان هناك دومًا جزءٌ بداخلي يحرضني على الابتعاد والنسيان.. ولكن المقاومة كانت صعبة.. أبتعد وأبتعد وأعود مرة أخرى.. لم يكن هناك المزيدُ من الوقت لأضيعه.. مثلت البراءة على (سارا).. لقد

أحببت تلك الفتاة حقـًا ولكنني مضطر لكي أفعل هذا.. هربتُ منها لـ(مصر)، ثم جاء الشقُ التالي من المهمة..

وضعتُ يدي في جيبي وأخرجت القلادة. هنا خُيّل لي إنني أسمع (سارا) تقول: لا يا (ممدوح) لا أرجوك، لا ترتدها.. إنما تورطك أكثر!

– ألم تفتقديني يا (سارا)؟

– أنا أفتقد (ممدوح) الذي أحببته.. لست أنت.. يمكنك الخلاص من كل هذا.. "هم" لا يستطيعون إيذاءك..

سمعتُ ضوضاء بالخارج، كن قد رجعن.. (هيام)، (هالة)، (شذى).. خرجتُ من المكتب فتجمد ثلاثتهن.. نظرتْ (هالة) لي في غباء، أما (هيام) فقد تراجعتْ للخلف مذعورة..

–لا تبدين سعيدة بعودتي يا (هيام).. تتلاعبين أثناء غيابي.. هه؟

هزت رأسها في ذعر وهي تتراجع أكثر..

أخيرًا وجدتْ الكلمات فقالت برعب: "وعدتني

سيدي بأن تحررني"..

صمتُ قليلاً ثم نظرتُ نحو هيام قائلاً:

– "سأحاسبك فيما بعد، أما الآن فاسمعْني جيدًا.. لقد جئت هنا أنا و(حسن)، و(حسن) لم ولن يعود.. وسيكتشف الدكتور (مصطفى) هذا ولن يفوّت الأمر.. أنا أريد هذا الرجل هل تسمعني؟.. هذا الرجل ذكي وحذر وأنا لا أريد مشاكل.. وبعد بضعة أيام سيكتمل القمر وسنجتمع في المقطم لنقيم طقوسنا.. وأعدك يا (هيام) أن (بعلزبول) لن يفوت الأمر أبدًا"..

كنت أعلم أنني سألقاه.. أنا أذكر الموعد جيدًا ويجب ألا تحدث أية مشاكل.. يجب أن نتمكن من تنفيذ ما جاهدنا من أجله سنوات طويلة..

يجب أن يتمكن (السيد) من العبور لعالمنا..

يجب!

* * *

منذ قررت أن أتوارى وأن أبتعد عن الطريق الذي رُسم لي، لم يعد هناك سوى (هيام) في الصورة..

في البدء، كان هناك الإكسير الذي يجعلها عبدة خاضعة لي.. وقد شربته..

تزوّجتها..!.. من الغريب الآن أن أدرك أنني تزوّجت (هيام) التي أمقتها كل هذا المقت لكن هذا حدث.. لقد جربنا كل تلك الطقوس التي تعلمتها من الشيطان البريطاني الذي سحرني.. كم من مرة لعبتُ دور الكاهنة، ولعبتُ دور الضحية.. أعتقد أنني نمت على المذبح ألف مرة.. سجّلنا الكثير من هذه اللحظات بعين الكاميرا.. كان معنا آخرون لكني لا أذكر مَن هم..

ثم جاء الوقت الذي قررتُ فيه أن علي أن أبتعد.. لم أجد في نفسي القدرة على القيام بالدور المطلوب مني.. لعل بذرة الخير في روحي كانت أقوى مما حسبت.. صحيح أن (هيام) صارتْ تحمل بذرة ابني في أحشائها، لكني قررت أن أتوارى.. لا أعرف حقـًا هل الأقرب للخير أن تتخلى عن هذا الطقس المجنون الذي

تورطت فيه وتترك (هيام) لمصيرها؟.. أم تظل بجانبها مهما كان ثمن هذا من خسران روحك؟.. إنه لموقفٌ شديدُ التعقيد لكني كنت قد حزمت أمري..

إن محو الذاكرة سهل جدًا بالنسبة لمن يعرف ما أعرفه.. وقد أعددت لـــ(هيام) ذلك الإكسير الذي يمحو الذكريات.. صببتُ لها بعضه في كوب القهوة الورقي الذي وضعته جوارها على منضدة الكمبيوتر.. وعندما زاغت عيناها همست في أذنها:

ــ "أنت لا تعرفين عني سوى زمالتي لك.. لا دور لي في هذه القصة.. تذكري هذا.."

ــ "و... والعهد؟"

ــ "تلك مشكلتك يا صغيرتي.. تفين به أو تحنثين.. لا شأن لي"

وتركتها واتجهت إلى المطبخ الصغير لأعد لنفسي بعض القهوة..

هكذا نسيت (هيام) كل شيء عني، وإن لم تنس أن عليها أن تجند المزيد من الأتباع.. استقرت في تلك الشقة مع أختيها (شذى) و(ريهام).. ووضعت مولودها

وزعمت أن أباها توفي.. وسرعان ما ضمت (هالة) إليها ولعلها ضمت (عصام) كذلك..

الآن جاء دوري كي أعد لنفسي جرعة قوية من الإكسير.. وفي مرآة الحمام خاطبت وجهي الذاهل:

ـ"أنت لا تعرف أي شيء.. أنت (ممدوح) مصمم الجرافيكس البريء.."

بالفعل نسيت كل شيء.. لم أعد أذكر إلا أنني مصمم جرافيكس يمقت زميلته في العمل..

جدار سميك أحطت به نفسي.. لكنه ثـُقب عدة مرات..

ثـُقب عندما سمعت ابنتي تصرخ.. كيف عرفتني وهي لم ترني قط؟.. ليس من الغريب على مخلوق كهذا أن يشعر بأبيه بشكل غريزي.. ستة أعوام؟.. مستحيل أن تكون جاءت العالم منذ ستة أعوام.. أعتقد أن عمرها لا يجاوز عامًا، لكن عليك أن تنبذ كل خبراتك السابقة عندما تتعامل مع كائن كهذا..

ثـُقب الجدار عندما فتشت كمبيوتر (هيام) ووجدت تلك الصُّور..

ثـُقب عندما وجدت القلادة..

ثـُقب عندما هاجمت (حسن) لأنه عرف أكثر مما يجب..

ثقب عندما تذكرت (هيام) من أنا حقـًا..

بالنسبة لـ (شذى) أخت (هيام) لست سوى ضحية بريئة تنسج أختها حبالها حولها..

يبدو أن صدمة معرفة حقيقة (هيام) لم تُرح الأختين.. (شذى) مصدومة و(ريهام) في وضع لا يسمح لها بإبداء الرأي كما رأيتها معي.. لهذا راحت (شذى) تحاول تحذيري من أختها..

من الغريب أن يمضي رجل المباحث عدة أشهر يطارد قاتلاً، ثم يكتشف أنه هو نفسه ذلك القاتل وقد نسي..!.. هذا هو ما حدث معي..

كان التخلص من بقايا (حسن) سهلاً.. إن (ريهام) جوعى دومًا حيث سجنتها (هيام) في تلك الغرفة مقيدة بالأصفاد..

المشكلة الحقيقية هي (مصطفى).. إنه الصديق

المشترك الذي يعرف أكثر مما يجب..

لقد عاد كل شيء كما كان منذ عدة أشهر..

لم يتغير شيء..

عدنا أسرة واحدة.. فقط صارت معنا (هالة)..

* * *

انتهيت من هذه السطور فضغطت أيقونة التسجيل قبل أن تتجمد الشاشة كما يحدث في كل مرة..

أشعر بأنفاس (شذى) الرطبة جوار أذني وهي تطالع آخر سطور..

قالت لي:

ـ"لا بأس.. لكن الأمور لم تنته بعد.. مثلاً ما هو الغرض من هذه الجماعة السرية الغريبة؟.. ماذا سيحدث عند اكتمال القمر؟ هل خمنت أو لديك استنتاج ما؟"

قلت لها باسمًا:

ـ"سوف يأتي (بعلزبول) إلى الأرض.. هذا واضح.. لابد من تهيئة الأمور لقدومه."

ـ"وماذا عن مصطفى؟.."

ـ"سوف تذهبين أنت للقائه ثم تفتكين به.. إن هذا الدور يناسبك!"

ـ"شكرًا.."

هنا دوى بكاء ابنتنا الرضيعة من غرفة النوم.. دقائق غابتها (شذى) بالداخل ثم عادت وهي تهدهد الطفلة.. وقالت:

ـ"لو أن (هيام) أختي قرأت هذه القصة!.. لو عرفت رأيك السلبي فيها!"

ـ"أنت تعرفين أنه ليس بيني و(هيام) حب مفقود.. كما إنني لا أطيق (هالة) صديقتكما المشتركة.. أحيانًا يكون الأدب نوعًا من التعبير عن رغبات دفينة.. فقط على الورق يمكن أن أنتقم فأجعل (هيام) كاهنة وثنية وأجعل (هالة) تأكل لحم الموتى.."

ـ"إذن من رغباتك المكبوتة التي تحققت على الورق أن تتزوج (هيام)!"

ـ"تزوجتها وتركتها لمصيرها!"

راحت تفكر قليلاً ثم قالت:

ـ"لا أعرف.. ربما كنت أفضل أن أعرف ما سيحدث بعد هذا قبل أن أحكم على القصة ككل.. لكنها مثيرة وجوها متوجس كابوسي.. هذا الجو يناسبني فعلاً.. والآن أعتقد أن علينا أن نتكلم في ذلك الموضوع الذي طال تأجيله.."

أغلقتُ جهاز اللاب توب وقلت لها:

ـ"هكذا أعيد لك جهازك.. لكن لا تمسحي ما عليه من ملفات إلى أن أنسخ القصة على قرص مدمج"

ـ"يمكنك أن تعمل عليه بعض الوقت، فلن أحتاج له اليوم.."

ثم انصرفتْ إلى غرفة النوم لتضع الطفلة في مهدها..

حقًا أجد لذة في كتابة القصة.. هذه محاولتي الأولى لكنها ليست سيئة.. لقد استخدمت شخصيات حقيقية تحيط بي لأصنع هذه الدراما وهي النصيحة التي تجدها في كل كتب تعليم فن الرواية.. (شذى) زوجتي وأختها (هيام) وصديقتهما (هالة).. حتى (حسن) زوج (هالة)

أتركه..

الحقيقة هي أن (شذى) هي التي أوحت لي بهذه القصة.. ذات ليلة مالت برأسها على رأسي وقالت:

ـ"تخيل لو أنني لست (شذى).. لو أنني كاهنة تعمل بشكل سري من أجل عودة (بعلزبول) إلى الأرض؟.. تخيل أن تكون (ريهام) و(هيام) و(هالة) كلهن متورطات في القصة؟.. ماذا تقول وماذا تفعل؟"

قلت ضاحكًا:

ـ"أقول إنها قصة رعب ممتازة.."

ـ"وماذا تفعله؟"

ـ"أجرب أن أكتبها.."

هكذا رحت أعمل في هذه القصة على مدى شهرين، وكانت تتابع ما أكتبه ويروق لها دومًا وتضيف الكثير من الأفكار والعلاقات.. كانت هي صاحبة فكرة الصُور وفكرة (هالة) التي تتناول العشاء في المقابر.. إلا أنه إذ اقتربت من نهاية القصة قالت لي في شرود:

ـ"هناك أشياء يجب أن نتكلم فيها.. أشياء مهمة"

قلت ضاحكًا:

ـ "ليس الإقلاع عن التدخين من فضلك.. ليس هذا وقته.."

مواضيعها المهمة لا تتعدى نصحي بترك التدخين، أو الغيرة من زميلة عمل، أو لومي على معاملتي لخالتها.. لهذا لم نفتح الموضوع قط..

يبدو أنها تنوي الليلة أن..

ما هذا الفهرس؟

فهرس يحوي ملفًا مضغوطًا.. وهو مشفر كذلك..

ما الذي تحتفظ به (شذى) سرًا وتخفيه عني؟.. لست فضوليًا بشكل خاص، لكن ربما ترضيني نظرة واحدة.. ما هي كلمة السر يا ترى؟..

هنا ابتسمت ابتسامة خفيفة.. الأمر واضح.. كنا نعيش في جو قصة فيها (بعلزبول).. إذن لا تحتاج لذكاء كثير كي تعرف كلمة السر.. إما هذا أو هو عيد ميلاده أو عيد ميلاد ابنتنا..

كتبت الحروف وأنا أتطلع إلى أن أكون عبقريًا.. بالفعل.. انفتح الملف المضغوط. يا للغباء!..

وسرعان ما رأيت أن هناك مجموعة من الصوَر.. صور ماذا؟.. متى التقطتها؟

كانت هناك صور لـ (شذى) ترتدي ثوبًا أحمر طويلاً.. وقد انتثر شعرها على كتفيها.. الغريب أن الثوب كان يكشف أكثر مما يخفي ولم يكن هذا طابع ثيابها الأقرب إلى الاحتشام.. كانت تقف في مكان غريب أقرب لأجواء السينما.. هناك نارٌ مشتعلة وتمثالٌ عملاقٌ تشتعل النارُ في فمه..

أعتقد أن هذه كواليس مسرحية ما.. وهي تلعب دور كاهنة وثنية..

كانت تقف جوار مذبح عليه جثة ممزقة غارقة بالدم –الصلصة طبعًا– وترقص..

قمت بتكبير الصورة لأرى الجثة الراقدة.. هذا الممثل الملوث بالدم.. هذه الملامح مألوفة لي.. لكن..

إنه أنا..

أنا لم أشارك قط في صور كهذه.. هل لفقت صورًا لي في هذا الموقف على سبيل الدعابة؟.. إذن هي بارعة جدًا..

ليست الملامح فقط مألوفة لي لكن الموقف كله كذلك..

هناك موقف شبيه بهذا.. لكن متى قابلته أو سمعت عنه؟

لا أذكر..

إن الحياة معقدة.. معقدة لدرجة أنك لا تذكر أبدًا متى قابلت هذا الموقف أو ذاك..

(شذى) عائدة من غرفة النوم..

أعتقد أن علاقتنا تسمح لي بأن أتفقد ملفاتها وأن أسألها مباشرة عن هذا الذي رأيته.. إنها زوجتي الحبيبة بعد وقبل كل شيء..

تعالي يا (شذى) واشرحي لي من فضلك.. ما مصدر هذه الصور؟..

أرجو أن تسمحوا لي بالانفراد بها.. لربما كان الأمر مما لا ينبغي لكم سماعه.. لربما كان مما لا تحبون سماعه..

لربما كان.. ... .

* * *

كما هي العادة، ولأن (دار ليلى) و(دايموند بوك) قد اتفقتا على التعاون من أجل جيلٍ جديدٍ موهوب، نسعد بأن نقدم للقارئ الكريم، هذا العمل المتميز..

وأسباب تميزه جاءت عديدة في الواقع..

فأولها -بكل تأكيد- قلمُ أديبِنا اللامع د.(أحمد خالد توفيق)، وأفكاره الجديدة، وحماسه الدائم للشباب..

ثانيها أن هذه الرواية ممتعة.. هي ممتعة بالتأكيد..

ثالث الأسباب - وهو السبب الرئيسي، الذي تبنته (دار ليلى) وشاركتها فيه (دايموند بوك) - هو تلك الأقلام الأربعة الموهوبة، التي شاركت د.(أحمد خالد) في إخراج هذا العمل..

أقلامٌ تستحقُ فرصتها في التواجد على الساحة الأدبية..

ولهذا نفخر بأننا نخرج هذه الرواية المشتركة للقارئ العزيز، وكلنا ثقة بأن ما بها سيلقى الإعجاب والتقدير..

صحيح أن النشر في حد ذاته، هو أفضل شهادة تقدير للكاتب -أيُ كاتب- إلا أننا رغم ذلك نعلن عن جوائز تقديرية للفائزين بنشر هذه الرواية..

فنرجو منهم الاتصال بنا على:

هاتف: 3370042 (002 02)

محمول: 0123885295 (002 02)

أو على البريد الإليكتروني:

info@darlila.com

للاتفاق على التفاصيل الكاملة بشأن هذه الجائزة.

الاحتفالية الرمزية التي ستقام لتوزيع الجوائز، مقرر لها أن تقام - بإذن الله- في النصف الثاني من شهر يونيو.

ويمكن متابعة الأمر على موقعنا:

www.darlila.com

* * *

د. أحمد خالد توفيق



قصة تكملها أنت

الناشران: دار ليلى و دايموند بوك

الثمن في مصر
5 ج